

إسماعيل فهد إسماعيل



ـلف الحادثة ٦٧

رواية

ملف الحادثة ٦٧

اسماعيل فهد اسماعيل

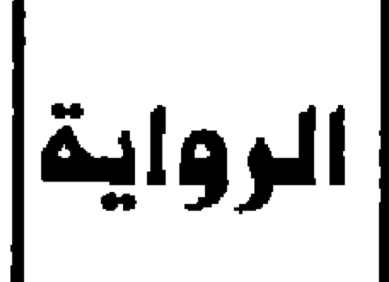
ملف الحادثة ٦٧

الرواية

منشورات

٣١





اسم المؤلف : اسماعيل فهد اسماعيل
عنوان الكتاب : ملف الحادثة ٦٧

Auther : Ismaiil Fahd Ismaiil
Title : The File of (67) Incident

الغلاف : تصميم وخطوط محمد سعيد الصكار
لوحة الغلاف : مروان قصاب باشي
الناشر : دار المدى للثقافة والنشر
الطبعة الثالثة : ١٩٩٦

Al Mada : Publishing Company
Third Published in 1996

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون : ٧٧٧٢٠١٩ - ٧٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٧٧٧٣٩٩٢
بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

Al Mada : Publishing Company F.K.A.
Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025
Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366 . Tel: 7776864 , Fax: 7773992
P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

الإهـــداء

إلى . . . سعدي يوسف

و . . . «نهايات الشمال الافريقي»

اسماعيل

الزمـان : الآن
المكان : غرفة تحقيق
مع المحقق الأول
الحالـة : استجواب :

١

المحقق يطبق الملف بعصبية . يخرج سيجارة . ينفث الدخان بنفاد صبر .

المحقق : أنت عنيد وبليد!

المتهم : . . .

يد المحقق تمتد إلى مذياع صغير أمامه . يدير المفتاح .

المذياع : هذا وقد صرح ناطق عسكري بلسان وزارة دفاع حكومة العصابات الـ . . . . .

المحقق : سنؤجل التحقيق معك .

الجرس من الخارج . الباب يفتح . خطوات عسكرية . تحية مثلها .

الشرطي : أمرك يا سيدي!

المذياع : لكن وسائل دفاعنا الجوي استطاعت أن تجبر الطائرات المغيرة على

الفرار .

المحقق : خذه إلى الموقف .

الشرطي : أمرك سيدي .

المتهم يخطو خطوة إلى أمام . يحني نصف جسده الأعلى إلى أمام .

المتهم : سيدي! . . أرجوك! . . أتوسل إليك! . . . أقبل يديك! . . فقط . . . اسمح لي أن أخبر زوجتي عن مكاني!

المحقق : قلت لك أكثر من مرة . . . ممنوع اتصالك بأي مخلوق في الخارج!

المتهم : ولكن . . . ممكن . . .

المذياع : ومن ناحية أخرى . . . أفاد أحد الأطباء التابعين لهيئة الصليب الأحمر الدولية . . .

المتهم : اتصلوا أنتم! . . دعوها تعرف بأني حي!

الشرطي يهمهم : لا تقاطع السيد المحقق!

المحقق : «مصيرها تعرف» .

المتهم : متى يا سيدي ؟! . . متى!

الشرطي يهمهم : «كن حذراً . . أفضل لك!»

المحقق : بعد انتهاء التحقيق .

المذياع : ومن المنتظر أن ينتهي مجلس الأمن في جلسته الطارئة مساء اليوم من أعداد . . .

المتهم : ومتى ينتهي التحقيق ؟

المذياع : . . .الصيغة النهائية الخاصة بـ . . . .

يد المحقق تمتد إلى المذياع . يصمت .

المحقق : الأمر موكول بك .

المتهم بدهشة : بي أنا ؟!!

الشرطي يهمهم : نعم . . . بك أنت .

المحقق : الأمر موكول باعترافك .

الشرطي يهمهم : السيد المحقق على حق . . . اعترف . . . الأفضل لك أن تعترف .
المتهم : لا أعرف ما الذي تبغونه بالضبط!
الشرطي يهمهم : الاعتراف .
المتهم : والله قلت لكم الحقيقة! . . أنا رويت الحادثة كما شاهدتها بالتفصيل .
المحقق : أنت عنيد وغبي!
الشرطي يهمهم : هذا صحيح .
المحقق : متى تفهم أن هذا الانكار السخيف لن يجديك شيئاً! جميع الدلائل تشير إليك!
الشرطي : إليه .
المتهم : سيدي! . . . والله أنا بريء!!
قبضة المحقق تهوي على المنضدة . الشرطي ـ بحركة لا ارادية ـ يأخذ وضع الاستعداد .
المحقق يصرخ : بل أنت قاتل .
الشرطي : . . .
المتهم : والله يا سيدي أنا . . .
المحقق : اخرس!
جسد المتهم يأخذ وضعه الطبيعي . يخطو إلى وراء خطوتين قصيرتين .
الشرطي يهمهم : الأفضل لك أن تسكت عندما يتكلم السيد المحقق .
المحقق : اصرارك الغبي على الانكار لن يفيدك في شيء . . أنت المسؤول الوحيد في هذا الحادث .
الشرطي يهمهم : بالضبط .
المتهم : والله لا يد لي فيه!

المحقق : اخرس!

المتهم : . . .

الشرطي يهمهم : قلنا لك . . . اسكت!

المحقق : اخرج!

يد الشرطي تمتد إلى كتف المتهم .

الشرطي : أمامي . . . أنت عنيد . . . لقد تسببت في ازعاج السيد المحقق .

يد المحقق تمتد ـ بحركة عصبيةـ إلى المذياع .

المذياع : . . . ثم أضافت رئيسة وزراء حكومة العصابات إلى قولها . . . انه بات في حكم المنطق أن تتخذ السلطات المعنية للدول المحيطة موقفاً حازماً إزاء الأعمال الإرهابية التي تمارسها الـ . . .

تعليق:

١

الغرفة موصدة ، والقضبان .

ـ هيا . . . هيا . . . أنت عنيد . . . لقد تسببت في ازعاج السيد المحقق!

يدفعك من كتفك ، وباليد الأخرى يغلق الباب .

ـ الأفضل أن تكون عاقلاً ، وتنفذ أوامر المحقق .

البرد ، والاسمنت ، والكوة التي في أعلى الجدار . لو أنهم زودوك بفراشي!! . .

وهذه الخطوات الرتيبة للشرطي الذي يذرع الدهليز .

ـ السيد المحقق غضب منك ، وسيحول الأوراق الخاصة بك إلى المحقق الثاني .

الأوراق الخاصة به!! . . من أين جاءت هذه الأوراق ؟! وكيف أصبحت خاصة به ؟!

**

الساعة هي العاشرة تماماً . في مثل هذا الوقت يبدأ الهدوء يعم المخبز .

ـ ترى هل من حل محلي في العمل ؟!

ورائحة الشاي! . . العمال تعودوا . . يجتمعون ليفطروا في مثل هذا الوقت . وعقرب الثواني يبطيء من حركته .

هل قلقوا لغيابه ؟! . . أم أن الشاي لا زال حارا ؟! . . وزوجته . .

ـ يا سيدي! . . أرجوك! . . أتوسل إليك! . . أقبل يديك! . . دعني ـ فقط ـ أخبر زوجتي عن مكاني!

لكنهم . . .

ـ ممنوع . . . منعاً باتاً .

ـ أنتم . . .

ـ «مصيرها تعرف» .

وما عرفت زوجته بمكانه . لعلها . . وطفله في حضنها . . بل ابنته في حضنها .

ـ لعينة! لا تحب أخاها!

لكن المحقق يعقد حاجبيه .

ـ . . . . .

ـ السيد المحقق على حق . يجب أن تعترف .

ـ . . . . .

ابتسامة ابنته حلوة . هو يحب ابتسامتها ، وابنه . . .

ـ «بابا جا . . بابا جا . . . .»

كم كان بوده لو يراهما الآن .

ـ تبدو متعباً! . . أتحب فنجان قهوة ؟ . . شاي ؟ . . أم أعد لك شيئاً تأكله ؟

هو يفتقدها بقوة . الساعات التي مرت منذ أن ألقي عليه القبض أشبه بشهور طويلة .

ـ لو أنها ـ فقط ـ . . . .

ـ ياسيدي! . . والله أنا . . .

ـ . . . . .

ـ أنا والله يا سيدي . . . .

ـ اخرس!

ـ . . . .

ـ عندما . . السيد . . . عليك . . تسكت . .

ـ . . . .

ـ أنت المسؤول الوحيد في هذا الحادث!

ـ والله . . . لا يد لي فيه!

ـ اخرس!

ـ . . . . .

ـ عندما . . . عليك . . . تسكت . . .

لكن الجريمة تلصق به .

ـ جميع الدلائل . . إليك!

هم يرفضون الاستماع إليه!

ـ أنت قاتل .

ـ أنا . . .

ـ يا شرطي!

ـ أمرك . . . سيدي!

ـ جئني بملف الحادثة ٦٧!

ـ أمرك . . . حاضر . . .

متى ينتهي هذا التحقيق ؟! . . . متى يطلقون سراحك!! وقتها ستركض إليها . . لكنهم . .

ـ اخرس! .

لا تقلقي عليه! . . إياك والجنون قلقاً عليه! عليك بالأطفال . سيعو إليك بأسرع وقت . بعد انتهاء التحقيق مباشرة . لكن البرد شديد والاسمنت يرفض حرارة عجيزته .

ـ يا شرطي!

ـ أمرك . . . سيدي .

ـ يا . . . أين الخبز ؟!

الخبز . . . الخباز . . . المخبز . . صاحب العمل .

ـ أين ذهب ؟! . . العمل . . نرتبك . .

نظر إلى ساعته . لعنه . أوصى على خباز آخر . العمل . . لا يهم . . بإمكانه العثور على مخبز . . . على عمل . . . أما هي . . . وابنته . . . ابنه . . . .

ـ بابا . . . بابا جا . .

ـ سيدي . . . يديك . . دعني . . فقط . .

ـ . . . باتا .

المكان : غرفة تحقيق

مع المحقق الثاني

الحالـة : استجواب :

٢

المـذيـاع : . . . وقد نتج عن هذا التراشق الذي شاركت فيه جميع قطاعاتنا . . .

المتهم : سيدي . . . أنت تعلم بأن الكلب لا يفهم!

المحقق : ماذا ؟!

المذياع : . . . كذلك تفيد الأنباء الواردة من الجبهة أن تشكيلاً كبيراً من طائرات العدو قام ظهر اليوم . . .

المتهم : سيدي . . . أقول . . . لا بد أنك تعلم . . .

المحقق : «اشش!!»

المـذيـاع : هذا . . . وقد استطاعت وسائل دفاعنا الجوي اسقاط عدد لا يستهان به من الطائرات المغيرة .

المحقق : ماذا قلت ؟

المتهم : قلت . . . لا يفهم .

المذياع : . . . ثم شوهدت بالعين المجردة إحدى طائرات الفانتوم وهي تهوي والنار مشتعلة بـ . . .

المحقق : من ؟

المتهم : الكلب .

المذياع : بالبراشوت .

المحقق يميل بجسده إلى أمام . يمد يده إلى المذياع . يسود الغرفة صمت متوتر لثوان .

المحقق : ماذا قلت ؟

المتهم : أقول . . . إنك يا سيدي . . . قررت ارسالي إلى الكلب . . الكلب البوليسي!

المحقق : من أجل أن نكتشف الصدق من الكذب .

المتهم : لكن الكلب سيعضني!

المحقق : لا تخف! . . الكلب لا يتهم الأبرياء .

المتهم : لكنه حيوان!

المحقق : حيوان!!

المتهم : ولا يستطيع التمييز بين المجرم والبريء!

المحقق : الكلب البوليسي يستطيع التمييز أكثر مما أفعل أنا .

المتهم يهمهم بحيرة : لا أدري!

المحقق : «ولا يهمك» . . . ستدري بعد ساعة .

يد المحقق تتحرك إلى جانب المقعد . الجرس يرن خارج الباب .

المتهم : أنا متأكد من أن الكلب سيعضني!

المحقق : . . . .

الباب يفتح . خطوات عسكرية . تحية مثلها .

الشرطي : نعم . . سيدي!

المتهم : سيعضني . . . لأني سبق ولامست جسد القتيل قبل أن يموت!

المحقق للشرطي : خذ المتهم إلى المديرية العامة .
الشرطي : حاضر .
المتهم : لكنه سيعضني!
المحقق للشرطي : وخذ هذا الملف معه .
الشرطي : أمرك سيدي .
المحقق للشرطي : يجب أن يتم عرضه على الكلب هذا اليوم ، وأعادته إلينا بالسرعة الممكنة .
الشرطي : حاضر .
المتهم : يا سيدي . . . أنت لا تستمع إلي!
الشرطي يهمهم : «اشش!!» . . احذر!
المحقق : ماذا تريد ؟
المتهم : قلت لك يا سيدي أكثر من مرة . . . إن الكلب سيعضني! أنا متأكد من هذا!
المحقق : هل أنت بريء ؟
المتهم : والله بريء .
المحقق : اذن فاعلم . . . الكلب لا يعض إلا المذنبين .
الشرطي يهمهم : هذا صحيح . . . صحيح جداً .
المتهم : لكنكم تعرفون . . بأني سبق ولامست . . .
المحقق : كفى!
المتهم : . . . .
الشرطي يهمهم : لا تناقش السيد المحقق! . . إلا اذا سألك .
المحقق : كلكلم تدعون هذا .
الشرطي يهمهم : نعم . . كلهم يدعون هذا .
المحقق للشرطي : ماذا تنتظر!
تحية عسكرية لاارادية .

الشرطي : أمرك سيدي .

المحقق : لا تنس! . . خذ قميص القتيل معك! وخذ حذرك حتى لا يهرب منك . هو مجرم خطير .

الشرطي : أمرك سيدي .

تحية عسكرية مدوية .

المحقق : لا تعد إلي إلا ومعك المتهم . . . من الضروري أن يتم عرضه على الكلب الآن .

المتهم : أنا . . . أنتم . . . لو . . .

يد الشرطي تمسك بكتف المتهم .

الشرطي : هيا . . هيا . . تحرك بسرعة!

بينما تمتد يد المحقق إلى المذياع .

المذياع : . . . مجلس الأمن يعقد مساء اليوم جلسة طارئة لمناقشة الوضع في الشرق الأ . . . .

تعليق:

٢

بانتظار أخذك إلى الكلب البوليسي .

سيعضك الكلب . لا بد أن يعضك . أنت قلت لهم :

ـ أنا لامست جسد القتيل قبل موته .

لكنهم بموقفهم :

ـ كلكلم تدعون ذلك .

جئت إلى هذا البلد باحثاً عن خبز . فعملت في مخبز . أيام الوقوف في طابور بانتظار أهانة وكالة الغوث أنتهت . والآن لا بد من الوقوف في طابور أمام كلب بوليسي .

* *

الخبز الأبيض كان قمراً . والعمل توفر بعد طول بحث . ووجود امرأة في مثل هذا الجو ضرورة لا بد منها .

* *

زوجة أحد الزملاء تتطوع . تجند نفسها . تبعث . تجد . وحدث اللقاء الأول الذي أعقبته ليال من الأحلام الوردية . الشباب واللحم

الطري . هي ـ أيضاً ـ فلسطينية وهي ـ أيضاً ـ بلا أب . بلا أم .

* *

ـ أتمنى أن تبيت معي حتى الصباح . . . تبيت ولو ليلة واحدة!

تقول ، وأصابعها الحلوة في شعرك . تبتسم لها ، ترد :

ـ أنا ـ كذلك ـ أتمنى . . أبيت . . لكنها طبيعة العمل . . الخبز .

ـ حاول العثور على عمل آخر!

ـ حاولت . . .

وما باليد حيلة . عملك يبدأ مع الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وينتهي في العاشرة من صباح اليوم التالي .

ـ بعدما تخرج الى العمل . . أشعر بالخوف . . أحس بالوحدة!

ـ أعرف هذا . . . ولكن . . .

ـ . . . . .

ـ ما العمل ؟!

عيناها في عينيك . تبتسم . تقول :

ـ لا تحزن يا حبيبي! . . قريباً سيكون لدي ما يؤنسني .

فتضع يدك على بطنها :

ـ أريده بنتا

ـ أريده صبياً!

ويجيء الطفل الأول . بنتا . وأنت لا تدري علام تبدأ الأيام تأخذ طابعاً فريداً ، وجديداً .

ـ الأبوة . . . والإحساس بالمسؤولية .

قالها أحد زملاء المخبز . هو أب لأربعة . . . ويبدأ الإحساس بالغربة يخف من خلال اشغالات الطفلة .

* *

ـ هذه المرة نريده صبياً!

ثم يجيء الطفل الثاني ، ويصبح البيت بالنسبة إليك هو الأرض .
هم ثلاثة بدلا من واحدة .
ـ لكنها لا تدري أين أنا!! . . أخاف أن تكون قد جنت!!
ستذهب إلى المخبز .
ـ أين زوجي ؟
ـ لم يأت .
فتضيع في الحيرة .
ـ أين يمكن أن يكون ؟!
ـ لا ندري .
يسقط في يدها . يتجسد لديها الاحساس باليتم .
ـ أين ذهب ؟!
يهزها الشعور بالغربة . اللوعة . الضياع .
ـ أين ذهب ؟!!
ـ لو نعرف لأخبرناك .
تبذل جهداً . تحبس دموعها . أعرفها .
ـ كيف يختفي هكذا دون أن يترك خبراً ؟! . . أثراً ؟!
ـ ليتنا نعرف .
ويمر اليوم ثقيلاً ثقل الـ . . .
تعودت الوصول إلى البيت بعد الساعة العاشرة . عادة ابنتي تنتظرني عند باب العمارة .
ـ « بابا جا . . بابا جا . . »
لعلها انتظرت .
ـ « بابا راح! »
وانتظرت . ثم بدأ القلق يساور أمها .
ـ من عادته أن لا يتأخر!!

طعام الغداء تأجل . حملت الصبي على ذراعها . وأمسكت بيد الطفلة . ذهبت إلى المخبز .

ـ لم يأت .

تذهب لمن ؟! . . وتسأل من ؟! تعود إلى البيت على أمل . . .

ـ لا بد أن يعود .

لكن الطعام يبرد .

ـ متى يعود ؟! متى ؟!

النقمة . الذلة . وتظل عيون الصغار مشدودة إلى الباب .

ـ لا تقلقي علي! . . عليك بالأطفال! . . أنا حي! . . سأعود بعد انتهاء التحقيق مباشرة .

المكان : سيارة جيب
مع الشرطي
الحالـة : حوار :

٢

عينا المتهم على القيد في معصميه . الصمت ، عدا دوي محرك السيارة ، ينظر الشرطي إلى المتهم بين الفينة والفينة ، وكأنه يهم بفتح موضوع حديث ، لكن وضع المتهم وشروده لا يشجعانه على ذلك .

الشرطي : لا حول ولا قوة إلا بالله!
المتهم : . . . .
الشرطي : «الازدحام شديد في هذه الشوارع!»
المتهم : . . . .
الشرطي : سنصل مبنى المديرية بعد دقائق .
المتهم : . . . .
الشرطي بانزعاج : أأنت أخرس!!
المتهم بدهشة : نعم ؟!

الشرطي : لماذا أنت صامت ؟!

المتهم : وماذا أقول ؟!

الشرطي : يبدو عليك الخوف . أنت تخشى مواجهة الكلب .

المتهم : . . . .

الشرطي : يجب أن لا تخاف منه .

المتهم : هل هو كبير ؟

الشرطي : إلى حد ما . ألم تشاهد كلباً بوليسياً من قبل ؟

المتهم : لا .

الشرطي : هو قريب الشبه من الذئب . هل سبق لك وشاهدت ذئباً ؟

المتهم : . . . .

الشرطي : لماذا لا ترد ؟!

المتهم : بماذا أرد ؟!

الشرطي : الشراسة لا تبدو عليك .

المتهم : . . . .

الشرطي : لماذا قتلته ؟

المتهم : . . . .

الشرطي : هل حاول هو قتلك ؟

المتهم : . . . .

الشرطي : أهو قريبك ؟

المتهم : كيف عرفت بأنني القاتل ؟

الشرطي : أنا شخصياً لا أعرف . هم الذين يعرفون . السيد المحقق يقول . . . .

المتهم : كلهم لا يعرفون .

الشرطي : غريب!! . . من الذي يعرف اذن ؟!

المتهم : . . . .

الشرطي : اذا كانوا لايعرفون ـ كما تقول ـ علام القوا عليك القبض واتهموك بقتله ؟!

المتهم : وجدوني قرب الجثة .

الشرطي : لا حول ولا قوة . . . ولكن . . . لا بد أن تثبت براءتك . . الحق يعلو ولا يُعلى عليه .

المتهم : . . . .

الشرطي : نعم . . . الحق يعلو ولا يُعلى عليه .

المتهم : . . . .

الشرطي : وماذا كنت تفعل قرب الجثة ؟

المتهم : كنت ماراً من هناك .

الشرطي : والقوا عليك القبض!

المتهم : ألقوا علي القبض .

الشرطي : لا حول ولا . . . لا تخف . . الحق يعلو . .

المتهم : . . . .

الشرطي : وكيف تمت عملية القاء القبض ؟!

المتهم : . . . .

الشرطي : الذي سمعت . . . أنك كنت تحاول الهرب!

المتهم : . . . .

المكان : سيارة الجيب.. أيضا
مع الشرطي . . .
الحالـة : تابع حوار :

١

الشرطي ينفث دخان سيجارته بتلذذ . الصمت . وعيناه على الطريق .

المتهم : ما هذه اللفافة التي إلى جانبك ؟!

الشرطي ينتفض .

الشرطي : احذر .

يخطف اللفافة من مكانها بحركة سريعة . يضعها في الجانب البعيد عن المتهم .

المتهم : مابك ؟!

الشرطي : إياك أن تلمسها!

المتهم : لماذا ؟!

الشرطي : «لو لمستها لضعت!»

المتهم : ما الذي بداخلها ؟!

الشرطي : قميص القتيل .

المتهم : الآن فهمت . لا بد أن الكلب سيشم رائحة القميص ثم يأتي إلي ليشمني!

الشرطي : بالضبط .

المتهم : وماذا سيفعل لو أنه شم الرائحة فيَّ ؟

الشرطي : يعضك .

المتهم بفزع : يعضني!! . . . أأنت متأكد ؟!

الشرطي : لا تخف . هو لن يؤذيك . سيعضك من طرف ثيابك . الكلب البوليسي ذكي .

ثوان من الصمت . بعدها يطلق المتهم زفرة يأس .

المتهم : سيعضني اذن!

الشرطي : أنت متشائم كثيراً . . وخائف . . الكلب لن يقربك مادمت غير مذنب .

المتهم : وهل يستطيع التمييز بين المذنب والبريء ؟

الشرطي : يستطيع . . أكثر مني ومنك .

المتهم : حتى وأن شم رائحة القتيل فيَّ!

الشرطي : لا أفهم!!

المتهم : حتى وان شم رائحة القتيل قبل موته!

الشرطي : لا حول ولا قوة إلا بالله! . . هذه حالة خاصة . لا أستطيع الجزم بها .

المتهم : . . . .

الشرطي : يعضك . . . أم لا يعضك . . . لا أدري . . . لكنه على الأكثر سيعضك .

المتهم : . . . .

الشرطي : ولماذا لم تخبر المحقق بهذا ؟!

المتهم : أخبرته مرة فلم يستمع لي . . . « . . .تفيد الأنباء الواردة من . . . . »
وأخبرته مرة ثانية فقال . . . « كلكم تدعون ذلك . . . »
الشرطي : لا حول . . وبعد ؟ . . ماذا فعلت ؟
المتهم : ماذا أفعل ؟!
الشرطي : ألم تحاول بطريقة ما ؟! . . . « المفروض أن تحاول! »
المتهم : أخبرته آخر مرة . توسلت إليه كي يستمع لي . . أنت تدري . . .
لكن المذياع . . . « قام تشكيل من طائرات الـ . . . »
وبعدها . . . أنت تدري . . . « اخرس! »
الشرطي : لا . « مع الأسف » قضيتك معقدة! . . معقدة تماماً! . . وفيها الكثير من الخطورة!
المتهم : فيها .
الشرطي : هل أوكلت محامياً . . . يتولى القضية ؟
المتهم : ممنوع علي الاتصال لحين انتهاء التحقيق .
الشرطي : هـ . . م . . م . . هذا صحيح لأن القضية خطيرة جداً .
المتهم : منعوني من اخبار زوجتي عن مكاني!
الشرطي : هـ . . م . . م . . هذا صحيح لأن القضية خطيرة جداً .
المتهم : . . . .
الشرطي : ولماذا لامست جسد القتيل ؟
المتهم : كنت مارا . . . في طريقي إلى المخبز . . . سمعت أنيناً . . . رأيت « كومة » . . . اقتربت . . .
الشرطي : أنت جاهل . . . غبي . . . سيء الحظ . . كان الأحرى بك أن تبتعد . . . ما الذي دعاك إلى الاقتراب ؟
المتهم : . . . .

تعليق:

٣

قميص القتيل دخل بصحبة الشرطي إلى غرفة المحقق المسؤول عن الكلب .

الشرطي قال وانتما في المدخل :

ـ يجب أن أذهب إلى المحقق المسؤول عن الكلب . . قبل كل شيء .

وأنت والحديد في يديك ، اضاف :

ـ سيرفع القيد عن يديك قبل عرضك على الكلب .

أنت لم تعلق على ما قاله بشيء .

ـ « لا فرق » .

لكن الشرطي استطرد موضحاً :

ـ هم يفعلون هذا من أجل أن لا يشك بك الكلب .

« وهل يشك الكلب ؟! »

القيد سيرفع . أما الآن فأنت بحراسة مشددة . شرطيان يضعان عيونهما عليك .

ـ « يقال . . قاتل . . »

وعندما سألت صاحبك الشرطي :

ـ متى ننفرد أنا والكلب ؟

أجابك :

ـ لا تخف . . . الكلب لن ينفرد بك . . . ستوضع بين مجموعة من الرجال المدنيين . . شرطة بثياب مدنية .

والأمر يختلط عليك .

ـ شرطة بثياب مدنية! . . . لماذا ؟!

ـ احتياطات ضرورية . لا بد من خلطك مع بعض الرجال .

الأمر ـ هذه المرة ـ لا يختلط .

ـ وسيختارني الكلب من بينهم!

ـ . . . . .

ـ سيعضني!

فيجيبك الشرطي بفروغ صبر :

ـ إن كنت مذنباً .

ترى . . . هل سيستطيع الكلب ؟! . . وهذان المترصدان . . .

ـ «انتبه! . . . يقال . . . قاتل!»

وحتى متى تظل تردد :

ـ ياسيدي! . . أنت تعلم . . . الكلب لا يفهم!

هو مسؤول عن الرائحة . أما عن الحقيقة . .

* *

الشرطيان ينظران اليك وفي عيونهما توقع معين . ترى . . لو أنهما

ـ بثياب مدنيةـ خلطا معك . . فعض الكلب احدهما!

يتهامسان بكثير من الاطمئنان . والمصيبة تكمن في كونك سبق ولامست جسد القتيل! لو أن الرائحة تلاشت!! . . زالت! . . تبخرت . لو أن الكلب يخطىء!! لو . . . .

المكان : غرفة تحقيق
مع المحقق الثالث
الحالـة : استجواب :

٣

المحقق يطبق الملف . يرفع عينيه إلى المتهم ، وعلى فمه ابتسامة متآمرة .

المحقّق : اذن فالقتيل فلسطيني!

المذياع : وقع اشتباك بالأسلحة الخفيفة ومدافع المورترز بين مجموعة من الفدائيين و . . .

المحقق : والمتهم فلسطيني!

المذياع : وقد بلغ عدد القتلى . . .

المحقق : وما دام الأمر بهذا الشكل ، فأظن أن المسألة واضحة وضوح الشمس .

المتهم : . . . .

(يهمهم) الشرطي : واضح تماماً .

المذياع : وقد استمر تبادل اطلاق النار حتى ساعة متأخرة من . . . .

المتهم يجفل أمام السؤال المفاجئ .

المذياع : . . . وفي مؤتمر صحفي عقد صباح اليوم صرح ناطق مأذون بلسان البيت . . .

المتهم : سيدي . . . أنا بريء!

الشرطي يهمهم : لا تقاطع السيد المحقق أثناء كلامه .

المحقق : كما تشاء .

يستدير ناحية الشرطي . تحية عسكرية .

الشرطي : أمرك سيدي!

المحقق : خذوا قميص القتيل إلى الكلب . ضعوا المتهم ـ كالعادة ـ بين مجموعة من الرجال .

المتهم : سيدي لو . . .

الشرطي : حاضر .

المتهم : تستمع لي ولو قليلا!

المحقق : هيا أسرع!

الشرطي : حاضر .

يمد يده إلى كتف المتهم ، لكن المتهم يتجاهل القبضة الممسكة به . يخطو إلى أمام .

المذياع : تناقلت وكالات الأنباء خبراً مفاده . . .

المتهم : أنا لامست جسد القتيل قبل موته!

المحقق ضاحكاً : في هذه الحالة . . سيعضك الكلب .

(يهمهم) الشرطي : قلت له هذا .

المتهم : لا أدري!

المذياع : أطلق مجهول النار على . . .

المحقق : بل يجب أن تدري . . . ليس من السهولة أن تخدع كلباً بوليسياً .

الشرطي يهمهم : الكلب ذكي . لا يخدع .

المتهم : يا سيدي . . . أنتم تصرون!

المذياع : . . . لكن جميع المحاولات باءت بالفشل . . .

المحقق : نصر على ماذا ؟

المتهم : على أني القاتل!

المحقق : ولقاء هذا أنت تصر على الانكار .

المتهم : . . . .

المحقق : أليس الأفضل لك ولنا أن توفر وقتك ووقتنا ؟!

الشرطي يرخي قبضته . يسقط يده إلى جانبه .

المتهم : لا أفهم!!

المحقق : أقصد . . . لا ضرورة لعرضك على الكلب ما دمت معترفاً بارتكاب الجريمة .

المتهم : أنا لم أعترف!

المحقق : كما تشاء . . . ولكن . . ليكن في علمك بأن الكلب سيعرفك تمام المعرفة .

يد الشرطي تعود ثانية تمسك بكتف المتهم .

الشرطي : هيا . . هيا . . لا تزعج السيد المحقق بهذه الثرثرة .

المذياع : قامت طائراتنا الاعتراضية ظهر اليوم . . .

المكان : صالة واسعة
مع الكلب
الحالـة : على حافة الهذيان

رجال بثياب مدنية يتضاحكون . يتهامسون . وأنا بينهم مع الخوف . لو أني تمالكت أنفاسي! لكن هذا التعب الرهيب الذي أحسه في مفاصلي هو السبب! . . فأنا لا أكاد أقوى على الوقوف .

ـ خذوا قميص القتيل الى الكلب . . .

*

الهواء بارد . الجو بارد . هم لا يرتجفون . أنا ، كل شيء في جسدي يرتجف!!

عيونهم ترصدني بترقب . لا بد أن يكونوا قد اعتادوا على مواجهة الكلب .

والكلب! . . هو مجرد كلب لا أكثر ولا أقل ، ولو استمرت رجفتي هذه لتعرف علي منذ اللحظة الأولى دون أن يبذل أيما مجهود!

ثم هناك دورة المياه . . . أنا بحاجة للذهاب إلى دورة المياه . . لكنني لا أجسر . . .

ـ اسمحوا لي . . .

ـ باتا . . .

قلت لهم :

ـ أنا سبق ولامست . . . .

وهم يصرون على عرضي للكلب . غريب أمرهم! علام يصرون على مواجهتي للكلب ما داموا واثقين . . . عارفين . . . ـ أنا قلت لهم ـ إن الكلب سيعضني ؟!

*

تلك هي دورة المياه . أحد الرجال . . . .

*

تمالك نفسك! . . تمالك نفسك! . . أنت رجل وهو مجرد كلب!

لكنه كلب متوحش . . . مفترس . . . هو أكبر من خروف!!

علي أن أتمالك أنفاسي! . . أسيطر على نفسي! هيا اهدأ! . . اهدأ . .

هو مجرد كلب . . . صحيح هو كبير . . . لكنه بالرغم . . . يا الهي!

ماذا أفعل لهذا الخوف اللعين ؟! . . وهذا الارتجاف الواضح ؟!

والآخرون يتضاحكون . يتغامزون . وكأن الأمر لا يعنيهم!!

لو أنه ألقى بالجرم على أحدهم! . . شم الرائحة بأحدهم! وقتها سيقول المحقق :

ـ اطلقوا سراح الخباز . . . دعوه يخرج إلى الطريق . . . القوا القبض على الشرطي!

لكن الكلب منهم . مثلهم . يتعمد التأخير . يريد أن يقضي على البقية الباقية من مقاومتي!

قميص القتيل تحمله يد المسؤول . . . وأنف الكلب . . .

ها هو يقترب . . . علي أن أهدأ! . . «أهدأ . أهدأ . .» تمالك أعصابك! . . اللعنة!! . . ثانية يقفل راجعاً ، والمسؤول عنه يمسك

بطوقه . هو يحدثه باللغة الانجليزية!
جاء! . جاء! . . لو . . لكن . . دورة . . أنا . . يقترب . .
يقترب . . يقـ . . يقـ . .
يتوقف عند أحدهم . يشم الأحدهم . الأحدهم يضحك . يداعب الكلب . الكلب يقفل راجعاً . المسؤول . . الطوق . . القميص . . الانجليزية . يعود يشم الأحدهم . المسؤول يسحبه من طوقه بغضب . . الزجر بالانجليزية .
المسؤول يترك الطوق . الكلب يقترب . عيناه علي . يقترب . . فمه . . عيناه . . يقترب . . يقـ . . .
الكلب ينبح : هو . . هو . .
المتهم يصرخ : ليس أنا!!

المكان : السيارة الجيب

مع الشرطي

الحالـة : حوار :

٢

الشرطي يسعل بتمهيد . ينظر إلى المتهم . يبتسم بود .

الشرطي : . . . لازلت ترتجف!

المتهم : برد .

الشرطي : بل أنت خائف .

المتهم : خائف .

الشرطي : أظن أن لا مبرر لاستمرار هذا الخوف ما دمت قد أصبحت أمام الأمر الواقع!

المتهم : واقع .

الشرطي : اللعين! . . . كان شرساً هذه المرة!

المتهم : . . . .

الشرطي : ليست عادته!

المتهم : عضني .

الشرطي : لولا عناية الله لافترسك!

المتهم : « مرتين » .
الشرطي : كان المفترض بك أن تعترف منذ البداية .
المتهم : اعترف ؟ .
الشرطي : نعم . . تعترف . . ولو أنك فعلت لوفرت على نفسك كل هذا العناء .
المتهم : وأنت أيضاً!
الشرطي : ماذا ؟!
المتهم : معهم .
الشرطي : لا والله . . بل على العكس . . أنا معك ، وحزين . . . متألم من أجلك .
المتهم : لو كنت . . لما . . ألم أقل لك . . أنا بريء ؟!
الشرطي : صحيح . . . أنا نسيت .
لحظات صمت ، الشرطي يتطلع بعدها إلى المتهم وفي عينيه اكتشاف .
الشرطي : لكن الكلب لا يخطىء!
المتهم : أنا معك . هو لا يخطىء . لكنه حيوان لا يفهم ، وله الحق مادام قد شم الرائحة فيَّ .
الشرطي : ومادام قد شم الرائحة فيك فقد عضك ، وما دام قد عضك . . . فأنت القاتل!
المتهم : قاتل ؟! . .
الشرطي : هذا ما سيقوله لك المحقق بالحرف . . . أنا أعرف القانون جيداً .
المتهم : هو شم الرائحة فيَّ ، لأني سبق ولامست جسد القتيل قبل موته .
الشرطي : أعرف هذا . . . سمعتك تقول للمحقق .
المتهم : . . . .
الشرطي : بيني وبينك . . . المحقق ظالم . . . قاسي القلب . . كلهم . . عدا

المحقق المدني .

المتهم : . . . .

الشرطي : لا تخف . . . «الله معك» . . . الحق لا يُعلى عليه .

المتهم : . . . .

الشرطي : «معاك سيجارة ؟»

المتهم : «لا أدخن» .

الشرطي وهو يزفر : «هي شدة وتهون» .

المتهم : ولكن . . متى ؟!

الشرطي : بعد انتهاء التحقيق .

المتهم : ومتى ينتهي التحقيق . . . باعتقادك ؟

الشرطي : اليوم . . .

صمت قصير .

الشرطي : هل معك بعض النقود . . . نشتري سجاير ؟

المتهم : لا . . .

صمت قصير .

المتهم : هل أنت واثق من أن التحقيق سينتهي اليوم ؟

الشرطي : لا .

صمت أكثر طولا . يتطلع بعده المتهم إلى الشرطي وفي عينيه سؤال يلح .

المتهم : لو طلبت منك طلباً أخوياً . . . فهل تحققه لي!

الشرطي : لا أظن .

المتهم : لماذا ؟!

الشرطي : لأني لا أستطيع .

المتهم : هو طلب صغير . . .

الشرطي : . . . .

المتهم : فقط . . . اذهب إلى زوجتي . . . وطمئنها عني .

الشرطي : اتصالات من هذا النوع ممنوعة . الأوامر صارمة جداً في مثل هذه الأمور .

المتهم برجاء : سيكون الأمر سراً بيننا!!

الشرطي يهمس : هذه المسألة تحتاج إلى . . إلى . .

المتهم : يهمس : إلى ماذا ؟

الشرطي : إلى مخاطرة .

المتهم : مخاطرة!

الشرطي : والمخاطرة لا بد لها من . . .

المتهم : من ماذا ؟

الشرطي يهمس : «اشش» . . خفض صوتك!

المتهم يهمس : أقسم لك بأن . . . اسمع حالما يطلق سراحي . . .

الشرطي : آسف .

المتهم : بإمكانك الاتصال تلفونياً بالمخبز . . . وهم يتولون أمر اخبار زوجتي .

الشرطي : آسف .

المتهم : أرجوك!

الشرطي : ممنوع .

المتهم يتوسل : خدمة صغيرة لوجه الله!!

الشرطي بانزعاج : كفى!

تتوقف السيارة .

الشرطي بانزعاج : انزل!

ينزل .

الشرطي بانزعاج : أسرع!

يسيران بصمت يقطعه صوت المتهم عند بلوغهما البوابة .

المتهم : لي طلب صغير!
الشرطي بغضب : ممنوع!
المتهم : بي حاجة لا تحتمل التأخير للذهاب إلى دورة المياه!
المتهم : دعني أذهب قبل أن تأخذني إلى المحقق!
الشرطي : لا بد من استئذان السيد المحقق أولا .

المكان : غرفة التوقيف

الحالـة : استرجاع :

١

رن جرس . الساعة هي الثانية عشرة . منتصف الليل .

كنت أحلم ، ورن الجرس .

المخيم الكبير الذي يمتد بامتداد الافق . والخيم المتراصة .

الريح الباردة ، والغبار ، والقطط الضالة والأطفال ، وأنا طفل كبير .

كما أنا الآن .

صوت أمي يصلني نفاذاً . . آمراً :

ـ أسرع! . . بدأوا بتوزيع الطحين في مركز الوكالة!

الطحين . . . الطحين الطحين . . . العجين . . . الخبز . . . الخبز والمخبز .

وهذه الحالة السحرية ، الاسترخاء اللذيذ . لكن . . المخبز . . العمل . . وهذا الدفء اللذيذ ، وأنفاس زوجتي .

«الخبز! . الخبز! . المخبز!»

ويتحول جرس المنبه إلى حلم ، يدخل ضمن الحلم . يتغير الحلم .

خيل الي أن أحداً يضغط جرس الباب .

ـ ترى من يكون ؟!

حواسي تتنبه أكثر . الصحو . الغضب . الرفض . الاذعان . الليل . الخبز ، الانفاس الدافئة التي تصدر عن زوجتي .

أتململ . تراودني أفكار . تتحرك هذه الأفكار . تتمطى . لكنها سرعان ما تموت .

ـ ليس وقتها!

تمتد يدي إلى الساعة . الجرس يصمت . زوجتي تتحرك . تتململ . تتقلب .

ـ الأفضل أن أدعها تنام .

وبهدوء نزلت من على السرير . لكنها فتحت عينيها . آثار النوم ، وابتسامتها الباهتة ، همهمت :

ـ الا تود أن تأكل شيئاً ؟

الود المحبب في همهمتها .

ـ . . . . .

ـ لا تذهب وأنت جائع!

لا أدري . . . لماذا ـ أحياناًـ أشعر بها أكثر من زوجة . رعايتها الحنون أشبه برعاية الأم .

وقتها قلت لها :

ـ ضحكت . لو آكلك!

ضحكت بصحو .

ـ تعال!

وانقلبت على قفاها . باعدت ما بين فخذيها .

ـ تعال!

أنا أتردد . الحيرة . فتستطرد بتحد مستفز .

ـ تعال يا كاذب!

هي تتحدى رجولتي . ركنت ترددي . ألقيت نفسي عليها . أصابعها في شعر رأسي .

ـ الليلة الاثنين .

فقلت :

ـ بل انه نهار الاثنين .

ـ هي مباركة!

اللعينة! . . تحاول استدراجي .

ـ الوقت ضيق!

ربّت على فخذها . نهضت .

ـ السن تقدمت بك!

تحاول استدراجي سالكة أكثر من . . .

ـ الوقت ضيق!

ـ أمامك ساعتان!

ـ سأذهب إلى العمل متعباً . التأجيل أفضل . . أنت تعلمين . . أنا أحب «نومة الظهر» .

تقارب ما بين حاجبيها :

ـ وأنا أحب «نومة الليل»!

ـ . . . .

لها الحق . لها كل الحق . ستة شهور ، ولم أبت معها ـ خلالها ـ ولا ليلة واحدة حتى الصباح .

ـ كل النساء يبتن مع أزواجهن .

إلا هي . عملي يبدأ مع الساعة الثانية بعد منتصف الليل . الخبز والمخبز .

ـ ابحث لك عن عمل آخر!

ـ لا زلت . . .

وينتهي مع الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي .

ـ حاول مع صاحب المخبز!

ـ حاولت . . .

قلت له :

ـ لو أن عملي في النهار!

أجابته جاهزة :

ـ ممكن . . . أعمل مبادلة مع زميلك . . ولكن . . . لا تنس . . راتب خباز النهار أقل . . خمسة دنانير .

ـ . . . . .

بماذا أرد ، وأنا بأمس الحاجة لكل فلس ؟! . . . وقلت له في مناسبة أخرى :

ـ اسمح لي بإجازة! . . ثلاثة أيام . . . أربعة! أجابته ـ أيضاً ـ جاهزة :

ـ جئني بمن يحل محلك في العمل ، وخذ لنفسك ما تشاء من الأيام إجازة .

ـ . . . . .

بماذا أرد ؟! . . أنا الأجير ، وهو صاحب العمل . لا سبيل أمامي

ـ إذن ـ غير أن . . .

« لا بد من عثوري على عمل آخر! »

ـ أنت غير جاد في البحث عن عمل ثان!

ـ بل أنا . . لكن « الخبازة » مهنة أجيدها أكثر من سواها .

ـ كل الزوجات . . . إلا أنا . . .

ويتحول احتجاجها إلى استسلام صاغر . وتعود ثانية تقول :

ـ هل أعد لك بعض الطعام ؟

بحزن مشوب بالأسف :

ـ لست جائعاً .

لا تعلق بشيء ، تعودت سماع مثل هذه الإجابة .

ـ أنا ذاهب!

لا تعلق بشيء ، تعودت سماع مثل هذا القول . وعندما تلمست طريقي إلى الباب استدارت بوجهها ناحية الجدار ، وفمها يطلق همهمة احتجاج غامضة .

المكان : غرفة التوقيف
مع الشرطي
الحالـة : حوار :

٢

صدى اصطدام الحذاء العسكري (الشرطي) بالأرض الحجرية يتردد ضمن الدهاليز الملتوية . الخطوات تتوقف . رنين مفاتيح . . . الباب .

الشرطي : الغداء .

آنية معدنية توضع على الأرض .

المتهم : ليست بي رغبة للأكل الآن . بي حاجة ماسة للذهاب إلى دورة المياه!

الشرطي : «نسيت . أخبرك» . . . المحقق اذن لك . .

المتهم : هل اذهب الآن ؟

الشرطي : لا مانع . . . هيا . . . سأصحبك أنا .

المتهم : تصحبني!!

الشرطي : هذه أوامر المحقق . الحيطة ضرورية .

المتهم : كماتشاؤون . فقط . . . أنا بحاجة إلى استعمال يدي! هما مقيدتان!

الشرطي : يجب أن تعتاد على وضع القيد .

المتهم : في دورة المياه!!

الشرطي : في كل مكان .

المتهم : أنا لا أستطيع التصرف أثناء وجود القيد!

الشرطي : هذه قضية جديدة . انتظر ريثما أذهب لا ستشارة السيد المحقق .

الباب . رنين المفاتيح . الخطوات غير العجلة .

المكان : غرفة التوقيف .
الحالـة : استرجاع :

٣

عادة أصل المخبز بعد نصف ساعة على الأكثر . . الساعة الثانية بعد منتصف الليل . . أقطع المسافة ماشياً . أحياناً يعترضني أحد الحراس :

ـ قف!

أقف . يقترب . يتفحص وجهي .

ـ هذا أنت .

ثم يدعني أتم طريقي . أما هذه المرة . . . .

*

كانت الساعة تقارب الواحدة والنصف عندما خرجت إلى الطريق . أغلقت الباب من خلفي ، وسمعت صرير سريرنا . هي عادت تنام . لعلها شعرت ببعض النقمة . بيد أن عذري معي .

الشوارع ـ كالعادةـ مقفرة . شبه مظلمة .

ثلاثة كلاب . . .

ـ يا سيدي . . . أنت تعلم . . .

تنام تحت عمود نور يرسل ضوءاً خافتاً . وفي واحد من المنعطفات

ـ كنت غير بعيد عن المخبز ـ سمعت أنيناً .

ـ آه!آآ . . . آه! . .

هناك كومة من الظلام .

ـ « من ؟! . . . ماذا ؟!!»

قلبي يحدثني :

ـ ابتعد!!

لكن الأنين المفجوع :

ـ آآه . . . آآآ . . .

فكان قراراً سريعاً :

ـ لاقترب . . وأرى!

بحذر . بخوف . اقتربت . الأنين يتجسد أكثر وأكثر . قلبي يعود يحدثني :

ـ الابتعاد أفضل .

كومة الظلام رجل يتكدس على نفسه .

ـ « ترى من هو ؟! »

« ما الذي حدث له ؟! »

« لماذا في هذا المكان ؟! »

أسئلة كثيرة ، وسريعة . ثم انحنيت عليه .

ـ ما بك ؟

عيناه جاحظتان . رغم الظلام جاحظتان بشكل غريب . مخيف . . . .

رجفة . . . خوف . . . تردد .

ـ آآآه! . .

لكني عدت أسأله :

ـ ما بك ؟

عيناه على وجهي .

ـ أنا!! . . أ . . . . أ . . . أنا! . .

وخيل إلي أن عينيه ستغادران محجريهما .

ـ أ . . أ . أنا . . أنا!!

قلبي ـ ثالثة ـ يحدثني :

ـ ابتعد! . . لا تتدخل في ما لا يعنيك!

وفجأة تضاعف فزعي عندما رأيت الخنجر . قشعريرة رهيبة تجتاح جميع أجزاء جسدي . .

« يارب السماوات!! »

« هو . . هو . . هو . . يكاد يموت!! »

يداه . . كفاه بتشبث غريب تطبقان على مقبض خنجر ينغرز حتى آخره في صدره ، غير بعيد عن ابطه الأيسر .

ـ أ . . أ . . أ . أنا!! . . أ . . أ . .

لم أقل :

ـ مابك ؟

الأفكار اختلطت في رأسي . دوي . خوف . رعشة . قشعريرة . حزن . دم . . دم . . وعيناه . .

ـ أ . . أ . . أنا!! . . أ . .

« هل أنفذ بجلدي ؟! »

« هل أسارع إلى الاختفاء خشية أن أكون طرفاً ـ محشوراً ـ في القضية ؟! »

« هل أبقى لمساعدته ؟! »

« هل . . . هل . . . هل . . . »

وعاد صوته المحشرج يصلني :

ـ أ . . أ . أنا! . أنا! . .

قلت له وأنا أبحث عن الإجابة في داخلي :

ـ ما الذي أستطيع عمله ؟!
ـ أ . . أ . . أ . . .
وحاول أن يرفع جسده إلي . عيناه تزدادان جحوظاً . ألمه رهيب .
« ماذا يفعل ؟ »
ومن دون وعي مددت يدي إليه . احتضنته . وبهدوء أنمته على الأرض .
قلت له :
ـ لا تتحرك!! . . إياك أن تتحرك!! . . سأتصل بالإسعاف . . . ستكون في المستشفى بعد دقائق .
ـ . . . أ . . أ . . أنا!!
وأحس بنوع من المسئولية .
ـ لا تتكلم!! . . لا تبذل مجهوداً في الكلام!
احدى يديه تفلت مقبض الخنجر . أصابعه متشنجة ... مفتوحة... تمتد إلي .
ـ ما بك ؟!
أصابعه« كماشة » تطبق على طرف ثوبي .
ـ أ . . أ . . أنا!!
أمسكت يده . بصعوبة أفلتها من ثوبي .
« هو لا يستطيع التمييز! »
عدت أقول له :
ـ لا تبذل أي مجهود . . انتظر . . سأذهب إلى كشك التلفون . . سأتصل بالمستشفى . . فتجيء سيارة الإسعاف . .
ـ أ . . أ . . أنا! . .
لكني أسرعت . . ركضت نحو كشك التلفون . صوته المحشرج ينفذ إلى أذني :

ـ أ . . أ . .

وخيل إلي أني سمعت ما يشبه كلمة :

ـ انتظر!

وصت الكشك . رفعت السماعة . وفجأة تذكرت :

« قطعة النقود اللازمة لادارة القرص »

جيوبي خالية . الحيرة . التردد . الفكرة :

ـ « أعود إليه . . لعله يحمل قطعة النقود في جيبه » .

عدت أركض صوبه .

« لا بد من الاسراع! »

فضاعفت سرعتي ، وبالرغم من توجهي أدركت بأن سيارة ما خلفي .
أحسستها خلفي . هي تحاذيني تماماً . فكرة جديدة ومضت في رأسي :

« لا داعي للتلفون » .

التفت إلى السيارة .

ـ قف!! . . قف يا ولد!!

كانت سيارة شرطة .

ـ قف يا ولد!

السيارة وقفت وأنا وقفت .

ـ ما بك ؟

صوت آمر مشوب بالريبة . وأعقبه آخر :

ـ لماذا تركض ؟!

الأسئلة متلاحقة ، والاجابة :

ـ أنا كنت . . .

لكن السؤال الآمر بالحاح :

ـ أنت ماذا ؟ . . قل!

الجريح غير بعيد عنا . هو بمحاذاة الجدار . أنوار السيارة تقع على

الجسد المتكدس .

ـ انظروا!!

أحدهم كان قد رآه .

ـ انظروا!!

الاحدهم يتساءل بفرحة اكتشاف ويضيف :

ـ ماذا هناك ؟!

الصوت الآمر يبرز من السيارة :

ـ أسرع! . . انزل! . . انظر!

أحد رجال الشرطة يقفز ، يركض ، ويتوجه الصوت الآمر لمن معه :

ـ خذوا حذركم منه!

فوهة بندقية .

ـ أنا . . أنا كنت . . .

صوت الشرطي من عند الجدار (مفزوعاً) :

ـ رجل مقتول!!

الصوت الآمر :

توقعت هذا!

ما سورة البندقية في صدري .

ـ ارفع يديك!

يداي ـ بحركة لا ارادية ـ إلى أعلى .

ـ أنا . . . . أنا كنت . . .

ـ كنت تنوي الهرب يا مجرم!

أبحث عن كلمات .

ـ لا والله! . . أنا كنت ماراً من هنا . . .

الصوت الآمر ساخراً هذه المرة :

ـ «صحيح!»

بالرغم من زجره استطرد بأمل أن يستمع إلي :

ـ أنا أعمل في مخبز قريب . . . كنت ذاهباً إلى المخبز . . . سمعت أنينه . . ذهبت كي أتصل بالاسعاف .

ـ «صحيح!»

ـ أقسم على هذا !!

فيقول لمن معه :

ـ «حسناً» قيدا يديه!

أتشبث :

ـ أنا ما كنت هارباً! . . أنا كنت أركض إليه!

لكن أحدهم قال بلهجة واثقة :

ـ بل هو عاد كي يتأكد من اخفاء آثار الجريمة .

ـ والله ليس هذا ! . . ليس هذا! .

القيد يطبق على معصمي . ما سورة بندقية في صدري . والأخرى تضغط عمودي الفقري .

ـ أنا لم أقتل! . . . هو مصاب بخنجر!

ـ اخرس!

لا زال الأمل لدي .

ـ يمكنكم أن تسألوه!

كنت مضطرباً ، لكني ما كنت خائفاً جداً .

«المصاب سيبرئ ساحتي» .

قلت لهم :

ـ اسألوه عن الذي طعنه!

انحنى أحدهم على المصاب يتفحصه . .

الصمت . الترقب . معصم المصاب . قلبه . الصوت :

ـ الرجل ميت!

الفزع . الدهشة الرافضة .

ـ «ميت!!»

«كيف يموت ؟! . . ولماذا يموت بهذه السرعة ؟»

الصوت :

ـ أيها المجرم الغبي!! . . أتطلب منا أن نسأل إنساناً ميتاً!! . . أتظننا أغبياء مثلك ؟!

ـ أقسم لكم . . . أنا بريء!

الصوت بأمر :

ـ احتفظ بأقوالك لحين التحقيق .

أتشبث بلا جدوى :

ـ هو مات أثناء ذهابي إلى كشك التلفون!

ـ . . . أقوالك لحين التحقيق .

ـ أنا بريء . . .

الغضب :

ـ اخرس!

ما خرست بعد .

ـ أنتم مخطئون!

ماسورة البندقية تصدم أضلعي بقوة مؤلمة .

ـ السيد الضابط طلب منك أن تسكت . . . اسكت! .

ـ . . . . .

ـ اصعد إلى السيارة!

وقتها تذكرت أمراً مهما . قلت برجاء :

ـ دعوني أخبر زملائي في المخبز!!

ـ اصعد الآن . . . سيتسع وقتك لاخبار من تشاء .

المكان : غرفة التحقيق
مع المحقق الثاني
الحالـة : استجواب :

٤

الباب يفتح . المتهم يدخل . الشرطي من خلفه . التحية العسكرية .

المحقق : «ها» . . . ما هي النتيجة ؟

الشرطي : عضه الكلب مرتين .

المحقق : كنت أعرف هذا .

المذياع : أغارت طائراتنا ظهر اليوم للمرة الثانية على . . .

المحقق : لم يبق أمامك غير الاعتراف .

الشرطي يهمهم : هذا أفضل .

المذياع : ثم عادت جميع طائراتنا إلى قواعدها سالمة . . . .

المتهم : سيدي . . . كيف أعترف وأنا لم أقتل ؟!

المذياع : تفيد الأنباء الواردة من الأرض المحتلة . . .

المحقق : جميع الأدلة تشير إليك .

الشرطي : بالضبط . . . الكلب عضه مرتين .

المحقق : أنت فلسطيني .

المذياع : واليكم الآن البيان ٤٧ .

المحقق : والمجني عليه فلسطيني .

الشرطي يهمهم : لولا عناية الله لافترسه الكلب .

المتهم : لكني لا أعرف القتيل!

المحقق : والكلب . . . أهو يعرفكما من قبل ؟!

المتهم : هو حيوان لا يفهم!

المحقق : اسمع! . . أنا ـ منذ البداية ـ قلت لك . .

المذياع : استطاعت قواتنا الباسلة ـ حتى ساعة اعداد هذه النشرة ـ من التوغل عشرات الكيلو . . .

المحقق : لا تتظاهر بالغباء! . . . . من الذي عارضك . . في حقيقة كون الكلب حيواناً ؟!

الشرطي : يهمهم : لم يعارضه أحد .

المتهم : لا أقصد هذا . . . بل أقصد أني ـ سبق ـ ولامست جسد القتيل قبل موته .

المحقق : أنت . . .

المذياع : هذا . . . وقد بلغ عدد الطائرات التي أسقطت منذ بدء العدوان حتى الآن . . .

المحقق : تكذب .

المتهم : . . . .

الشرطي : يهمهم : الصدق نجاة .

المذياع : أما عن قنابل النابالم . . . .

المحقق : وأن لم تعترف بارتكابك الحادث . فستضطرني لانتزاع الإعتراف منك بالقوة!!

الشرطي يهمهم : السيد المحقق على حق .

المتهم : كيف اعترف بجريمة لم أرتكبها ؟!

الشرطي يهمهم : الاعتراف فضيلة .

المذياع : في نبأ لوكالة . . .

المتهم : لو أنك يا سيدي . . . استمعت . .

المحقق : اسمع . . . هذا الكلام أقوله لك للمرة الأخيرة ، ولن أعود لترديده ثانية . . .

الشرطي : . . . .

المذياع : قواتنا الباسلة تسدد ضرباتها القاتلة إلى قلب جيش العدو . فلول الجيش المعتدي تتقهقر إلى الأمام . . علماً بأن عدد الأسرى قد بلغ اليوم . . .

المحقق : اما أن تعترف ، وهذا أفضل لك ، والا . . . فقد أعذر من أنذر .

الشرطي يهمهم : الأفضل له أن يعترف .

المذياع : . . . .

الشرطي : الاعتراف فضيلة .

المذياع : وقد تم شحن آلاف الأسرى . . .

المتهم بحيرة : أنا لا أدري!

الشرطي يهمهم : لا داعي للتردد . . . اعترف وخلص نفسك .

المحقق : دعنا من اللف والدوران! . . هل ستعترف أم لا ؟

المتهم بحيرة : لا أدري ما الذي تبغونه بالضبط ؟!

المحقق : الحقيقة .

الشرطي يهمهم : السيد المحقق على حق .

المتهم : لكني قلت لكم الحقيقة! . . . رويت لكم الحادثة كما شاهدتها بالتفصيل!

المحقق : الافضل أنهاء التحقيق . . . لا فائدة ترجى منك . . . أنت تسعى لتضييع وقتنا!

الشرطي يهمهم : وقت السيد المحقق ثمين .

المتهم بحيرة : يا سيدي . . . أنا تحت أمرك . . .

المذياع : هذا وقد صرح أحد المسئولين لمراسلي الصحف المحلية والأجنبية . . . .

المحقق : لن أضيع معك وقتاً أكثر مما فعلت . . . الأفضل أن تجهز نفسك للتحقيق الفعلي .

الشرطي يهمهم : لا حول ولاقوة . . . .

المتهم : الأمر أمركم .

المذياع : في مقابلة تلفزيونية أجريت ظهر اليوم لأحد الطيارين الأسرى الذين . . .

المحقق للشرطي : جهزوا الغرفة!

تحية عسكرية ذات صدى مدوي .

الشرطي : حاضر يا سيدي .

خطوات عجلى .

تعليق:

٤

الغرفة موصدة ، وبرودة الاسمنت .

ـ أعطوني فراشاً!

ـ ليس الآن .

المشي داخل غرفة التوقيف يبعث الدفء في الجسد إلى حد ما ، وأن تعبت من المشي فما عليك الا أن تجلس ، ساعتها سيتدفأ الاسمنت من عجيزتك . النهار طويل والساعة . . .

«الساعة!!»

لا بأس أن تذهب الساعة مادامت قد أدت مهمتها .

عندما عدت تلح على الشرطي متوسلاً :

ـ «أي شيء تطلبه أنا حاضر» . . فقط . . اتصل ـ ولو تلفونياً ـ بالمخبز وخبرهم عن مكاني!

يعقد حاجبيه لثوان . يرخيهما . ترتسم على شفتيه ابتسامة متآمرة .

يقول :

ـ ممنوع .

لم تيأس ازاء رفضه .

ـ لا تخبرهم عن مكاني . . . قل لهم . . . هو رهن التحقيق وسيطلق سراحه قريباً!

ـ الاتصال التلفوني يكلف نقوداً!

ـ « اللعنة على النقود! »

لو كنت تعلم بالذات بالذي سوف يحدث ! . . لو كنت . . الخنجر . . السيارة . . التحقيق . . اذن لاصطحبت معك شيئاً من المال!

وبحركة سخيفة تبحث في جيوبك ، فلا تجد .

- المكالمة التلفونية لن تكلفك الكثير!

ـ . . . .

ـ مجرد قطعة نقود صغيرة! . . هي خدمة انسانية!

يبتسم بتآمر .

ـ أنا مفلس .

ـ . . . . .

الحيرة . اليأس . الانهزام .

ـ «اذن . . . لا فائدة!!»

لكنه يتطلع إليك .

ـ ألا تملك شيئاً ذا قيمة ؟!

ـ قيمة ؟

فيستطرد :

ـ أي شيء! . . هذه الساعة . . . مثلاً!

أصبعه يشير إلى معصمك . الفرحة في صدرك .

تسارع إلى خلع الساعة . الفرحة والحركة العجلة المضطربة .

ـ خذها . . . خذها . . .

يمد يده .

ـ سآخذها من أجلك أنت .

ـ شكراً . . . وأرجو أن تسرع!

كفه تحتوي الساعة . ينظر اليها لثوان . يطبق اصابعه عليها . يتمتم :

ـ سأسرع . . .

يدسها في جيبه بحركة سريعة . ينصرف . وقبل أن يختفي يلتفت إليك . يقول بلهجة متآمرة :

ـ السر بيننا! . .

بتوكيد صادق ، وعرفان . . .

ـ «طبعاً . . طبعاً . .»

المكان : غرفة تعذيب
مع المحقق الثاني
الحالـة : هذيان :

١

الأصوات يختلط بعضها ببعض . تنمحي . لتعود ثانية عبر صدى بعيد .
أشباح تتحرك . ضمن الزمان والمكان .
الألم الرهيب الذي ينز من جميع مسامات جسده .
ما الذي يريدونه منه بالضبط ؟!
المحقق : هل تعترف . . . أم لا ؟
الرمال التي تحت قدميه حمراء هلامية . حارة . تسحبه إلى أسفل .
« النجدة! . . ستبتلعني الرمال! . . هي تسحبني إلى أسفل! »
المحقق : هل هو قريبك ؟
السماء تبرق بين آونة وأخرى فتبين أشباح طائرات كثيرة . . .
الآلام . . . الآلام . . .
المحقق : مقاومتك هذه لن تجديك نفعاً!

هناك في مكان غير بعيد عنه يقف أبنه .
يد الطفل تمتد . . . تمتد . . . تملأ المسافة . تكاد تصل إليه . .
لكن الرمال! . . الرمال!!
المحقق : لماذا قتلته ؟
ابنه يصرخ :
«ـ بابا راح! . . بابا راح! »
«ـ أبداً . . أبداً . . أنا لن أذهب . . سأجيء . . الشرطي . .
الساعة . . سأجيء . .
«ـ بابا راح! . . بابا راح! »
صوت ابنه يحمل صوت ابنته . عيناه تبحثان علّه يراها .
المحقق لمن معه : توقفوا قليلاً .
حركة الرمال تتوقف ابنه يختفي ، وصوت أمه :
«ـ أنت تأخرت عن موعد توزيع الطحين! »
«ـ أين أنت ؟! . . »
«ـ أسرع! . . أسرع إلى الوكالة! »
هو عاجز عن السير . قدماه منفصلتان عن جسده . يحس بهما
هناك .
«ـ اسرع إلى . . . »
«ـ أنت لا تدرين!! »
قدماه . الألم ينبعث رهيباً في مؤخرة جمجمته .
المحقق لمن معه : صبّوا عليه ماء بارداً .
العصب الذي في مؤخرة رأسه ينبض بشدة ، ثم يتوقف مصدراً صريراً
كهربائياً كاوياً .

المكان : غرفة التحقيق
مع المحقق المدني
الحالـة : استجواب :

٥

المحقق : هل أنت جائع ؟

المتهم : أنا مريض!

المحقق : كن مطمئناً . . . لا تخش شيئاً . . . سنعالجك بعد انتهاء التحقيق .

المتهم : ومتى ينتهي التحقيق ؟

المحقق : لن يستغرق الكثير .

المتهم : . . . .

المحقق : بعد استكمال الأوراق الخاصة بالنيابة العامة .

المتهم : . . . .

المحقق : لا بد أنك عانيت الكثير أثناء التحقيق الأخير!

المتهم : أنا مريض!

المحقق . علبة السجائر . ينفث الدخان .

المحقق : أنا شاهدت عملية التعذيب التي تعرضت لها . فطلبت تحويل

أوراقك إلي .

المتهم : أنا تحت أمرك .

اليد . . . إلى علبة السجائر .

المحقق : «تأخذ سيجارة ؟ »

المتهم : لا . . . شكراً .

المحقق : منذ الآن لن تتعرض لأي تعذيب .

المتهم : شكراً لك .

المحقق : وسأسعى لاطلاق سراحك فوراً .

المتهم : شكراً لك يا سيدي .

اليد . علبة السجائر .

المحقق : خذ واحدة!

المتهم : لا . شكراً .

المحقق : سأفعل كل هذا لقاء شرط واحد بسيط!

المتهم : أنا بخدمتك .

المحقق : هل تشرب شاياً ؟

المتهم : لا . . . شكراً .

المحقق : اسمع . . . أنا لا أطلب غير الصدق .

المتهم : أقسم لك . . . لن أتحدث غير الصدق .

المحقق : الصدق . . . هو الذي يجعلنا أصدقاء .

المتهم : سأكون عند ظنك .

المحقق : شيء جميل . . . أنا مستبشر . بلقائنا . اجلس . . . ودعنا نناقش الموضوع كأصدقاء .

المتهم بتردد : ولكن . . .

المحقق : أجلس . . . لا داعي للخجل .

يجلس بطرف عجيزته .

المحقق : شيء لطيف . . . لنبدأ الآن .
المتهم : . . . .
المحقق : ما هي علاقتك بالقتيل ؟
المتهم : لا أعرفه .
المحقق بعتب : أهكذا اتفقنا ؟! . . لقد اشترطنا أن يكون الصدق شعارنا!!
المتهم : والله أنا صادق جداً!
المحقق : أين الصدق وأنت تنكر علاقتك بالقتيل ؟!
المتهم : أقسم لك على أني لا أعرفه . . . أنا لم أره طيلة حياتي!
الغضب . المحقق ينفعل . يضرب الطاولة بيده .
المحقق : « كذاب! »
المتهم يسارع إلى الوقوف .
المحقق : كيف تدعي مثل هذا الادعاء وانتما فلسطينيان ؟!
يسحق عقب سيجارته . يأخذ أخرى . يقلبها بين أصابعه لثوان .
يبتسم . ينفث الدخان . يقلّب ملفاً بين يديه . يضع عينيه في عيني المتهم .
المحقق : «ليكن في علمك» أن هدفي الأول والأخير هو انقاذك من التعذيب .
المتهم : . . . .
المحقق : دافع انساني محض .
المتهم : . . . .
المحقق : دعنا نبدأ ثانية كأصدقاء .
المتهم : حاضر .
المحقق : لماذا أنت واقف ؟!
المتهم : . . . .
المحقق : أجلس . . أجلس . .
يجلس بطرف عجيزته .

المحقق : منذ متى وأنت تعرفه ؟

المتهم : لا أعرفه .

ثواني صمت مستوفز .

المحقق : ما اسمه ؟

المتهم : لا أدري! .

صمت مستوفز .

المحقق : هل كنت في حالة دفاع عن النفس ؟

المتهم : لا أفهم!!

المحقق : لو أنك كنت في حالة دفاع عن النفس فسنطلق سراحك فوراً .

المتهم بحيرة : لا أفهم!

المحقق : بمعنى آخر . . . هل حاول قتلك أولا . . . فقتلته دفاعا عن نفسك ؟

المتهم : لا .

الغضب على وجه المحقق . ينفعل . يضرب الطاولة بيده .

المحقق : « كذاب!! »

المتهم يسارع بالوقوف .

المحقق : لماذا قتلته اذن ؟!

المتهم : . . . .

المحقق . عقب السيجارة . سيجارة اخرى . ينفث الدخان . يبذل مجهوداً ، يبتسم .

المحقق : دعنا نبدأ من جديد .

المتهم : . . . .

المحقق : لماذا أنت واقف ؟!

المتهم : . . . .

المحقق : اجلس! . . اجلس! . .

يجلس « كالعادة » .

المحقق : لماذا ألقوا القبض عليك ؟

المتهم : لا أدري .

المحقق : هل كنت في مسرح الجريمة ؟

المتهم بحيرة : مسرح الجريمة ؟!

المحقق : الذي أعنيه . . . هل كنت موجوداً في مكان الحادث ؟

المتهم : كنت في طريقي إلى المخبز .

المحقق : مخبز!!

المتهم : المكان الذي اعمل فيه . عملي يبدأ في الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

المحقق : ولماذا كنت تركض ؟! . . ألم تكن تنوي الهرب ؟!

المتهم : لا . . . أنا كنت . . .

الغضب يتجسد بشكل انفجار مباغت . المحقق لا يضرب الطاولة هذه المرة . . .

يصرخ المحقق : ولماذا عضك الكلب اذن ؟

تعليق:

٥

الليل . الظلمة . أصوات رجال الشرطة . همهماتهم تصله من على بعد .
لو أن زوجته عرفت بمكانه لجاءت . لكن الشرطي على ما يبدو...

*

البرد . بالامكان احتمال البرد . لكن الآلام تنبعث رهيبة من جميع أجزاء جسده .
ابهام قدمه اليسرى متورم أزرق . ينبض بشكل كريه مزعج ، فيحس صدى النبض صريرا داخل رأسه .
وهذا الفراغ المتآخي الذي يحسه داخل فمه .
الدفء . وطعم الدم . هو فقد أحد أضراسه .
«ترى . أين ذهب ؟!»
«ولماذا هذا الضرس بالذات ؟! . . هناك . . .»
«لو عرفت بالذي ألاقيه لمزقت خدودها . . . خدودها . . . وخد ابنتي . . . القبلة ـ أحياناً ـ ليست بذات قيمة . . . أما الآن . . .»
والكلب الذي حكم عليه بالادانة لم يعضه باللحم تماما... لم يفترسه .

أما هؤلاء . . .

*

رطوبة الاسمنت عندما تلامس موقع الالم . . . وهي هناك . . . لا بد أن الحيرة أوصلتها إلى حالة قريبة من الجنون .

لعلها تجلس... والأطفال من حولها . فراغ الغرفة الذي ينبض بالوحدة .

«ـ بابا وين ؟!»

«ـ ليتها تدري!»

وهما لا يدركان ما يحدث ، لكنها ـ حتماـ تمارس معهما الاحساس باليتم .

«ـ بابا راح!»

«ـ ليتني أعرف!»

«ـ أن لم تعترف!»

«ـ يا سيدي . . . أنا . . .

«ـ اخرس!»

«ـ الأفضل لك أن . . . »

«ـ أخرج!»

«ـ أعدوا الغرفة!»

بماذا يعترف ؟ . . وكيف يعترف ؟ . . ولماذا يعترف بجريمة لا يعرف عنها شيئاً ؟!

«ـ أنت فلسطيني!»

«ـ المجني عليه فلسطيني!»

«ـ مسرح الجريمة . . . »

«ـ أنت هربت . . . »

«ـ هل كنت في حالة دفاع عن النفس ؟»

«ـ من أين جئت بالخنجر ؟»

«ـ سيدي . . . الكلب . . . عضه مرتين . . . ولولا عناية الله لافترسه! »

«ـ السيد المحقق على حق »

«ـ أنا شاهدت عملية التعذيب . . . الدافع انساني . . . أوراقك . . . طلبت تحويلها إلي » .

«ـ أنا لا أطلب غير الصدق . . . الصداقة . . . السيجارة . . . سأطلق سراحك فوراً . . . ولكن . . . بشرط واحد . . . »

« أعدوا الغرفة! »

أدخلوه الغرفة . كان في حالة من الخوف . . .

« ما الذي يفعلونه بي ؟! »

وشرود الذهن لدرجة أنه لم يع ـ بالضبط ـ ما يدور حوله . المرئيات تختلط . وجه المحقق .

«ـ الأفضل لك أن تعترف! »

وجوه الشرطة تتمازج . تتزواج لتختلط بنباح الكلب .

«ـ هو . . . هو . . . »

«ـ لست أنا! . . لست أنا!! »

الغرفة بصغرها وازدحامها بالأدوات والآلات بدت له كبيرة . كبيرة جداً ، وعندما طلب إليه المحقق أن ينام على مصطبة خشبية . . .

«ـ أنا متعب! »

المصطبة لا تبعد عنه سوى خطوات .

«ـ أنا مريض! »

خيل إليه أنها بعيدة ، بعيدة جداً ، وهذا الخدر الغريب الذي يغزو مفاصله .

«ـ هيا . . . لا وقت لدينا نضيعه معك! »

« كيف أصل إليها ؟! »

وسقط على الأرض . تهالك أعياء في منتصف المسافة . وصوت المحقق آمراً :

«ـ ارفعوه! »

الأيدي القوية تنتشله . تلقيه على المصطبة .

« ما الذي يفعلونه بي ؟! »

بينما . . . صوت المحقق :

«ـ احكموا وثاقه . »

معصماه . قدماه .

«ـ هل ستعترف . . . أم لا ؟ »

كان بصدد الإجابة على المحقق ، لكن شيئاً ما . . أحساساً ما يتكدس في صدره .

«ـ أنا . . . أنا . . . هي . . . أطفالي . . . الغربة . . . هي جنت . . . لماذا أنا هنا ؟!»

وضع عينيه في عيني المحقق .

«ـ هل ستعترف . . . أم لا ؟ »

كان بصدد الاجابة ، لكن صدره يلفظ مافيه دفعة واحدة ، فينتفض انتفاضة قوية ، ولبرهة خالها ليست بالقصيرة ظل يبكي ويراقب بكاءه في الوقت نفسه . ثم تملكه احساس بالعجز عن ممارسة الكلام ، فأطبق جفنيه .

والمحقق :

«ـ لا فائدة من اتباع اللين! . . ابدأوا »

المكان : غرفة التعذيب
مع المحقق الثاني
الحالة : هذيان

٢

الجدران تطبق عليه ، تزحف ، تضغط على جسده ، تسحقه .
المحقق : هل تعترف أم لا ؟
يصرخ بكل ما أوتي من قوة .
صوته ـ رغم مافيه من قوة ـ لا يكاد يصل إلى اذنيه .
« ـ ما الذي يحدث لي ؟! . . مابي ؟! »
المحقق : الأفضل لك أن تعترف .
« بماذا يعترف ؟! »
وجدران الغرفة تتراكض إلى الخلف بسرعة ، تبتعد تبتعد ، الحيّز المكاني يتحول إلى قاعة كبيرة منخفضة السقف .
المحقق لمن معه : شدوا أكثر .
« لا . . . لا . . . انتظروا قليلاً ! . . »
الجدران تتداعى إليه ، وليس إلى أسفل . الركام يطير على الأرض

بصورة أفقية ، ويتجه ناحيته بسرعة رهيبة .

«لو أستطيع حماية رأسي!!»

المحقق : لماذا قتلته ؟

«رأسي!! . . . رأسي !! . . لو أستطيع . . .»

ويداه مشلولتان ، عاجزتان عن الحركة . الركام يصدم رأسه ، وجهه ، صدره ، بطنه ، أطرافه .

المحقق : ما هي علاقتك بالقتيل ؟

الدماء . . . الدماء . . .

المحقق : منذ متى وأنت تعرفه ؟!

وهذا الركام لا يريد أن ينفد!!

المحقق : من أين جئت بالخنجر ؟

طرقات مرنة على الباب .

المحقق : ادخل .

خطوات . «سلامات» .

المحقق الضيف : أراك متعباً!

المحقق : ليس كثيراً .

الضيف : متى تنتهي منه ؟

المحقق : قريباً .

الضيف بدهشة : غريب!! . . لقد أخذ الكثير من وقتك!

المحقق : لن يستطيع الاستمرار في الانكار . . . سأجبره على الاعتراف .

الضيف : خذ حذرك! . . . حالته الجسدية سيئة!

المحقق : اطمئن . لن يفضل الموت على الاعتراف .

المكان : غرفة التعذيب
مع المحقق الثاني
الحالـة : تابع هذيان :

٢

الرياح تهب عاصفة كاوية ، غبار أصفر كثيف يتطاير فيملأ الفراغ .

المحقق : هل تعترف . . . أم لا ؟

ابنه يقف هناك . على البعد .

«ـ بابا راح! . . بابا راح! »

«ـ أنا . . أنا . . لو . . لو . .»

ذراع ابنه التي امتدت لتملأ المسافة لم تكن موجودة هذه المرة .

ذراعه الثانية ـ أيضاً ـ غير موجودة . هو أكتاف بلا أذرع .

« كيف حدث هذا ؟! »

المحقق : من أين جئت بالخنجر ؟

زوجته كذلك موجودة . هي تقف وراء ابنه . يدها تمسك ياقة ثوب ابنته .

« ما الذي جاء بها ؟! »

«أين كنت ؟!»

«ـ أنا . . أنا . . . لو . . . »

«ـ شغلت بالنا! . . الأطفال . . »

«ـ هم . . لم . . باتا!»

«ـ متى تعود إلينا ؟»

«ـ لو . . . لكن . . . التحقيق . . أنت . . تعلمين . . »

المحقق : ما الذي دفعك لقتله ؟

«ـ تعال! . . تعال! . . أنا . . والأطفال!»

«ـ انتظري! . . ها أنا . . »

يبذل مجهوداً جباراً كي يتحرك إلى أمام .

لكن الآلام تنبعث فظيعة من جميع أجزاء جسده .

المحقق : منذ متى تعرفه ؟

صوت أمه من وراء ظهره :

«ـ الطحين! . . الوكالة!»

يلتفت . . لا يراها . . .

«أين ذهبت ؟!»

«أسرع! . . أسرع! . . الوكالة!»

يدقق النظر . هناك شبح طائرة يلوح في الأفق .

المحقق : هل هو قريبك ؟

دوي الطائرة يقترب . يقترب . يملأ المكان والزمان . أذناه على وشك الانفجار . الدوي يقترب . . . يقترب . . .

«أين اليد التي تمتد ؟!»

«ـ أنا شاهدت عملية التعذيب . . . »

«ـ أنا موافق . . . »

«ـ مجرد دافع انساني .»

«ـ تعال خذني! . . . تعال!»
«ـ لا بد أنك عانيت الكثير أثناء التحقيق الأخير!»
«ـ أنا مريض! . . أنا أموت!»
«ـ أنت رفضت التعاون معي!»
المحقق : مقاومتك هذه لن تجديك نفعاً . . . الأفضل لك أن توفر على نفسك هذا العذاب!
«ـ سأطلق سراحك فوراً .»
«ـ بابا راح! . . بابا راح!»
«ـ سأفعل كل هذا لقاء شرط واحد!»
«ـ أنا تحت أمركم .»
«ـ اذا كنت في حالة دفاع عن النفس . . .»
«التلفون... لولا التلفون... لولا قرص التلفون... وقطعة النقود!»
«ـ لي طلب واحد!»
«ـ أنا مفلس ... بلا نقود... المكالمة تكلف... ساعة...»
المحقق : لا مفر من الاعتراف .
«ـ نحن لا نطلب غير الصدق .»
المحقق : الاعتراف أو الموت!
«ـ أهذا ما اتفقنا عليه ؟! . . .»
«ـ تأخذ سيجارة!»
«ـ اجلس! . . أجلس! . . .»
المحقق : الاعتراف أو الموت . ولا وسط بين الاثنين .
الطائرة تبتعد . تختفي . لكن الدوي يعود بأعلى وأعم هذه المرة .
«ـ الطحين! . . الوكالة! . . المخبز!»
الطائرة تتوالد على نفسها . تتحول إلى سرب ضخم من الطائرات .
«ـ هو . . هو . .»

«ـ لست أنا! . . لست أنا!!»

المحقق : الأفضل لك أن تعترف .

سرب الطائرات يقترب أكثر . سحابة من الرمل الأصفر تصاحب الطائرات .

«ـ أين ذهبت ؟!»

«ـ انتبهي! . . . انتبهي! . . الأولاد! . . الأولاد!!»

الرمل كثيف . . ابنه يطير على جناح السحابة .

يطير . .

«ـ لا . . لا . . لايمكن! . . لا يمكن!»

زوجته أيضاً تطير .

المحقق : لا فائدة من المقاومة! . . سيستمر التعذيب ما دامت المقاومة مستمرة .

يد زوجته تفلت ياقة ثوب ابنته .

«ـ انتبهي! . . انتبهي! . . الطفلة!»

ابنته تهوي من عل . الطائرات تزحم الجو .

الدوي . السماء تبرق . قدماه . الحرقة .

«ابنتي تسقط! . . تسـ . . . »

جسدها يصطدم بالأرض . يقفز إلى أعلى ـ ككرة مطاط ـ تتلقفه احدى الطائرات .

المحقق لمن معه : دعونا نتوقف قليلاً .

الطائرات تختفي . الرمال تزداد حرارة . . . قدماه . . . أصابعه تزداد حرقة . . العاصفة الرملية تختفي .

«لولا هذا الاجهاد الغريب!!»

المحقق لمن معه : لديه قدرة خارقة على الاحتمال!!

«ـ أنت . . . الكثير . . . أثناء . . . الأخير . »

«ـ أنا عاجز عن الوقوف! »

«ـ سنطلق سراحك فوراً . . . »

ابنه . ابنته . زوجته . صوت أمه .

«ـ أين ذهبوا ؟! »

كل ذلك يختفي .

المحقق لمن معه : صبوا عليه ماء بارداً .

الآلام . الحرقة . الاعياء الغريب .

«ـ أنا مريض! . . . دعوني أنام! »

المكان : غرفة التحقيق
مع المحقق المدني
استجواب :

٦

المحقق : كيف حالك الآن ؟
المتهم : مريض جداً!
المحقق : التعب باد عليك .
المتهم : . . . .
المحقق : اجلس . . . اجلس . . .
المتهم ، بطرف عجيزته . واضعاً عينيه بين قدميه .
المحقق : الآخرون قسوا عليك .
المتهم : . . . .
المحقق : «خلاص»... أنا الذي سأتولى قضيتك . ولن أسمح لغيري باستجوابك .
المتهم : الأمر أمركم .
المحقق يمد يده إلى المذياع .

المذياع : أدلى أحد المسئولين بتصريح جاء فيه . . . أن الصحف لم تؤد دورها الحقيقي ازاء . . .

المتهم : زوجتي حتى الآن لا تعرف مكاني!

المحقق : يالهم من مهملين! . . كيف حدث هذا ؟!

المذياع : وأضاف المسؤول على قوله بقوله . . .

المتهم : . . . .

المحققق : سأتولى اعلام زوجتك بنفسي .

المتهم : . . . .

المتهم : فقدت ضرسين!

المحقق : يا للقسوة!!

المتهم : . . . .

المحقق : لا بد من تعويضك مادياً .

المتهم : احدى أصابع قدمي كسرت!

المحقق : ... لا بد من ايقاع العقاب بهم سأرفع تقريراً عنهم إلى الجهات العليا...

المذياع : . . . ثم لاذ هذا المسؤول بالصمت . . .

المتهم : عيناي ما عادتا تبصران جيداً!

المحقق : سيتم تلافي كل هذه الأخطاء . علاقتك ـ منذ الآن ـ ستكون بي مباشرة .

المتهم : كذلك سأفقد عملي!

المحقق : لا تشغل بالك في هذا الأمر . سأبحث لك عن عمل مناسب ، بمرتب أكبر .

المذياع : هذا وسيجري اسكان اللاجئين في مخيمات جديدة ، تتوفر فيها الرعاية الصحية اللازمة ، و . . . .

المتهم : أنا بحاجة إلى فراش!

المحقق : سأوفره لك خلال دقائق .

المتهم : الأفضل . . . أن تطلق سراحي!

المذياع : . . . لكن المندوب الدائم قال . . .

المحقق : سأفعل بمجرد ملء الأوراق اللازمة . النيابة العامة تطالبنا بملف كامل للحادثة ٦٧ .

المذياع : وأضاف المندوب مستطرداً... أن جميع هذه الحوادث وقعت نتيجة لـ...

المتهم : ٦٧!!

المحقق : ٦٧ . . . هو الرقم المسلسل للملف الذي يحوي الأوراق الخاصة بالحادثة .

المتهم : أنا على استعداد تام للتعاون معكم .

المحقق : بداية طيبة . اسمع . . .

المتهم : نعم!

المذياع : صرح أحد المسؤولين في مؤتمر صحفي عقد صباح الأمس بما مفاده . . .

المحقق : الاعتراف فضيلة .

المتهم : . . . .

المحقق : . . . .

المحقق : والصدق نجاة .

المتهم : هذا صحيح .

المحقق : وبالاضافة إلى ما ذكرنا فكل حادث لا بد له من مسبب ، أليس كذلك ؟

المتهم : نعم .

يد المحقق تمتد إلى المذياع . يصمت .

المكان : غرفة التحقيق
مع المحقق المدني
الحالـة : تابع استجواب :

٦

المحقق : ... ولا يغيب عن بالك ... نحن المسؤولون ـ دائماًـ نسعى لامساك رأس الخيط . فإن تم لنا ذلك استطعنا وضع الحروف على النقاط .
المتهم : هذا صحيح .
المحقق : ... ما دمنا قد اتفقنا على كل الذي تقدم... بامكاننا أن نبدأ من نقطة الصفر .
المتهم : الصفر!
المحقق : أقصد من البداية .
المتهم : فهمت...
المحقق : حسناً . لنبدأ بالسؤال الأول .
المتهم : ...
المحقق : ماهي علاقتك بالقتيل ؟
المتهم : لا أعرفه .

المحقق : ...

المتهم : والله ... لا أعرفه .

المحقق : انكارك هذا لن يجديك نفعاً . جميع الدلائل تشير إليك .
أولاً... أنت فلسطيني... ثانياً... المجني عليه فلسطيني... ثالثاً... القي عليك القبض في مسرح الجريمة ، وأنت في حالة تثير الشكوك .
كنت هارباً .

المتهم : ما كنتَ هارباً كي ابتعد عن مكان الحادث ، وانما العكس .

المحقق : وبعد ؟

المتهم : كنت أركض نحو القتيل .

المحقق : أنت بدأت تخرف!

المتهم : أبداً يا سيدي... أنا قلت لكم منذ البداية... أنا ركضت إلى القتيل... كي أمد له يد المساعدة .

المحقق : وكيف تمد يد المساعدة لانسان ميت ؟!

المتهم : ما كان قد مات بعد .

المحقق : ولماذا لا نتوصل إلى صيغة واضحة للحقيقة التي بحوزتنا ؟!

المتهم : صيغة!!... حقيقة!!

المحقق : لماذا لانقول... كنت تركض إلى مكان الحادث لتزيل ـ للمرة الأخيرة ـ الآثار التي ستشير إليك كقاتل ؟!

المتهم : لا أفهم!!

المحقق : لا تتغابَ!!... هل نسيت الكلب ؟!

المتهم : الكلب شم الرائحة فيَّ فعضني .

يسحق عقب سيجارة كانت بيده . يتناول ثانية . يشعلها . ينفث الدخان بتلذذ .

المحقق : اسمع!

المتهم : ...

المحقق : هذا أول كلام علمي معقول ومقنع يصدر منك منذ بدء الجلسة .

المتهم : ...

المحقق : والآن... دعنا نتوصل إلى اتفاق علمي معين!

المتهم : أنا تحت أمرك .

المحقق : كيف وصلت رائحة القتيل إليك ؟!

المتهم : لأني سبق ولامست جسد القتيل قبل موته .

المحقق : كلام علمي أيضاً... نتج عنه اتفاق علمي مرض .

المتهم : أنا تحت أمرك .

المحقق : بامكاني ملء الأوراق اللازمة .

المتهم : أنت طيب .

المحقق : بقيت نقطة صغيرة جداً!

المتهم : أنا تحت أمرك .

المحقق : شكراً... أنت متعاون معي إلى أبعد الحدود .

المتهم : ... .

المحقق : وهذه النقطة التي مر ذكرها هي... ضرورة اتفاقنا على الكيفية التي تمت فيها الملامسة .

المتهم : الملامسة!

المحقق : بالضبط... لو أننا قلنا... «هذا وقد تمت الملامسة بواسطة خنجر أودى بحياة الضحية... »

المتهم : الضحية!!

المحقق : لو قلنا هذا... لزالت جميع العقبات التي تعترض طريقنا .

المكان : غرفة التحقيق

مع المحقق المدني

الحالـة : تابع استجواب

٦

المحقق : أظننا توصلنا إلى اتفاق شبه كامل!

المتهم : لم أفهم قصدك يا سيدي!

المحقق : المسألة بسيطة جداً . ألم تعترف بملامستك لجسد القتيل قبل موته ؟

المتهم : بلى .

المحقق : لم يبق لدينا غير تفسير كيفية حدوث الملامسة ، والحل الأفضل لها هو أن ملامستك هذه تمت بواسطة خنجر .

المتهم : وفي هذه الحالة ـ على ما أعتقد ـ يكون القاتل هو أنا!

المحقق : بالضبط .

المتهم : ...

المحقق : لماذا سكت ؟!

المتهم : ...

المحقق : هل أحزنك الاعتراف ؟
المتهم : ...
المحقق : كثيرون مروا بتجربتك . أنت لست أول قاتل ، ولا آخر قاتل .
المتهم : يا سيدي!... والله لم أقتله!
المحقق : دع عنك هذا الإصرار السخيف!
المتهم : ...
المحقق : ماذا قلت ؟
المتهم : لا شيء .
المحقق : لا تتظاهر بالغباء!... أقصد ماذا قلت عن النتيجة التي توصلنا إليها ؟
المتهم : لماذا يا سيدي تصرون على رأيكم ؟!
المحقق : لأنه الحقيقة .
المتهم : ...
المحقق : أليس هذا صحيحاً ؟!
المتهم : لكني أعرف نفسي أكثر مما تعرفونني أنتم!
المحقق : أنت تتشبث بخيوط واهية .
المتهم : لا أفهم!
المحقق : المخرج الوحيد لك هو اعترافك .
المتهم : لا ... ولكنه حيوان!
المحقق : دع عنك هذا الكلام السخيف!... الكلب بطبيعته حيوان ، وأنت أيضاً ستكون حيواناً مغفلاً وغبياً جداً لو بقيت على هذا الانكار الذي لا يسنده أي تبرير منطقي معقول .
المتهم : ...
المحقق : اعترافك سيزيل من أمامك جميع العقبات .
المتهم : ...
المحقق : سنتوقف عن تعذيبك ، وسيجري نقلك ـ فوراً ـ إلى السجن المركزي .

حيث تجد الفراش الدافيء والراحة التامة ، وتتوفر لك الفرصة لمواجهة زوجتك .

المتهم : ثم أحاكم بصفتي القاتل!

المحقق : بالطبع ستحاكم ... لكن محاكمتك ستكون عادلة ، وسينظر بعين الاعتبار والرأفة لجميع الظروف التي أحاطت بالجريمة .

المتهم : ... .

المحقق : تستطيع ـ وقتها ـ أن تدعي بأنك كنت في حالة دفاع عن النفس .

المتهم : ... .

المحقق : ولا يغيب عن بالك... هناك امكانية الاستعانة بأحد المحامين البارعين .

المتهم : لكن الاعتراف ـ يا سيدي ـ اعتراف... والجريمة في هذه الحالة ستلتصق بي!

المحقق : هي في الحالتين لاصقة بك . بيد أن الاعتراف له مزاياه العديدة . لعل المحاكمة تسفر عن البراءة ما دام القتل حدث في حالة دفاع عن النفس .

المتهم : ...

المحقق : «ها»... مارأيك ؟

المتهم : آسف يا سيدي!... لا أستطيع الكذب على نفسي .

المحقق : لا فائدة ترجى منك!

المكان : غرفة التحقيق
مع المحقق المدني
الحالـة : تابع استجواب

٦

يد المحقق تمتد إلى المذياع .

المذياع : تقدمت احدى الدول الأعضاء في مجلس الأمن بمشروع يدعو إلى إعادة اسكان اللاجئين...

المحقق : الحقيقة... أنا تعاونت معك إلى أبعد حدود التعاون...

المذياع : لكن هذا المشروع مني بالفشل نتيجة لعدم حصوله على العدد الضروري من الأصوات...

يد المحقق تمتد ـ ثانية ـ إلى المذياع .

المذياع : ...

المحقق : ترفض، ـعاون معي!

المتهم : ...

المحقق : لماذا سكت ؟!

المتهم : زوجتي!

المحقق : ستعرف بمكانك بعد انتهاء التحقيق .

المتهم : لكنها ستجن يا سيدي!

المحقق : أنت السبب . اصرارك وعنادك هما السبب .

المتهم : ... .

المحقق : أراك سكت ثانية!

المتهم : أنا محتار!!

المحقق : بل أنت متردد وخائف .

المتهم : أنا خائف على زوجتي وأطفالي!!

المحقق : بدأت تتحول إلى انسان عاقل .

المتهم : أنا مريض!

المحقق : لا تلق بالا لهذا... سيجري علاجك فوراً ، وسأذهب بنفسي لاستقدام زوجتك وأطفالك .

المتهم : ... .

المحقق : لماذا عدت إلى الصمت ؟!

المتهم : أنا محتار!!... لا أدري!

المحقق : وعلاوة على كل ما تقدم سأضمن لك عملك .

المتهم : ...

المحقق : « ها » ... ما رأيك ؟

المتهم : أنت تفعل كل هذا... لقاء اعترافي بالجريمة!

المحقق : « طبعا » .

المتهم : ... .

المحقق : هل اتفقنا ؟

المتهم : أريد أن أنام!

المحقق : الآن ؟!

المتهم : نعم... أنا مريض جداً!!

المحقق : ألا تتمكن من الاحتمال ربع ساعة أخرى ؟

المتهم : لا أستطيع :

المحقق : لكننا لم ننته بعد من استكمال الأوراق الخاصة بالنيابة العامة .

المتهم : ألا يكفيكم اعتراف الكلب ؟!

المحقق : بالنسبة لقناعتنا هو كاف تماماً . أما اعترافك الصريح فهو ضروري لدعم موقفك أمام القضاة . مصلحتك الخاصة ، ومصلحة زوجتك ، ومستقبل أطفالك ، كل ذلك يقتضي اعترافك الصريح بارتكاب الجريمة ، الانكار سيدفع القضاة لاتخاذ موقف متشدد معك .

المتهم : ... .

المحقق : « ها »... ماذا قلت ؟

المتهم : آسف يا سيدي... لا أستطيع أن أكذب على نفسي .

المحقق : لا زلنا ندور في حلقة مفرغة!

المتهم : أنا أعرف نفسي أكثر منكم . أنا متأكد من أنني لم أقتل ، فكيف تطالبونني بالكذب ؟!

المحقق : « نفس الكلام » يعاد ثانية!

المتهم : اسمح لي يا سيدي!... أنا متعب ومريض... بأمس الحاجة إلى النوم .

المحقق : كان بودي... لو سمحت لك بالنوم... لكنهم ـ هناك ـ بانتظارك . ولا أظنهم سيسمحون لك بالنوم... وقتهم ضيق جداً .

تعليق:

٦

أيام قليلة ، معدودة ، منذ ألقي عليك القبض .

لكن هذه الأيام تبدو لك أشبه بسنوات . أعوام كثيرة .

لا بد أن العالم الخارجي تغير كثيراً بعد ما انقطعت علاقتك به .

«ـ ممنوع اتصالك بأي انسان! »

« ممنوع اتصال أي انسان بك! »

بين الجدران ، والآلات ، والأيدي .

هم ألقوا عليك القبض ، واتفقوا فيما بينهم على أن تكون وحدك المسؤول عن الجريمة .

«ـ مسرح الجريمة... »

«ـ الكلب... »

«ـ القميص... »

«ـ حالة الهرب... »

ماذا تنتظر ؟!... زوجتك حتى الآن لا تعلم بمكانك . وصاحب المخبز ـ على الأكثر ـ اهتدى لعامل آخر . هو لن ينتظر إلى ما لا نهاية... وأنت ...

بعد قليل سيعودون لاستدعائك ، وسيبدأون معك من الصفر مرة أخرى .

«ـ هل ستعترف... أم لا ؟»

«ـ الأفضل لك أن تعترف!»

«ـ ما هي علاقتك بالقتيل ؟»

«ـ من أين جئت بالخنجر ؟»

«ـ الصدق نجاة... والاعتراف بالحق فضيلة... أليس كذلك ؟»

الاعتراف بالحقيقة :

«ـ لست قاتلا .»

معناه استمرار التعذيب ، وحتى...

«ـ صبوا عليه ماء بارداً!»

والاعتراف كذبا :

«ـ نعم أنا... القاتل!»

مصيره... محاكمة... قضاة... اعدام . في الحالتين أنت الخاسر ، ماداموا على موقفهم وقناعتهم .

«ـ هذا الانكار السخيف لن يجديك نفعاً!... جميع الدلائل تشير إليك .»

ما العمل اذن ؟!

لو كنت تعرف من هو القتيل ؟... ولماذا قتل ؟ . لاستطعت ايجاد المبرر على احتمال التعذيب . أما الآن... فها أنت تدور في حلقة مفرغة... المحققون يتناوبون العمل بك . الأول . الثاني . الكلب . الثالث . الثاني . المدني . التعذيب الذي يتصاعد بالألم الجسماني لدرجة يفقد معها الألم مقوماته .

«الرمال... الطائرات... الكلاب... الجدران... بابا... أين أنت ؟!»

ويتحول الألم إلى حالة أشبه بفقدان الوعي . وتبدأ ـ ساعتهاـ توجد

ضمن واقع غريب... كريه... ومرفوض نفس الوقت .

« ما الفائدة ؟! »

« وحتى متى تستطيع الصبر ؟!... وما هي الجدوى في النهاية ؟! »

هي . الأطفال . العمل . الخبز .

« ـ الصدق والصداقة... اجلس!... اجلس!... تأخذ سيجارة! »

« ـ أن كنت قتلته دفاعاً عن النفس فسأسعى لاطلاق سراحك فوراً... »

« ـ المكالمة التلفونية تكلف... وأنا مفلس! »

« ـ انتهت نوبته . ذهب إلى منزله . »

لكنك لا تملك ساعة ثانية!

المكان : غرفة التوقيف

الحالـة : استرجاع

٣

قالت لي أمي :

ـ كنت تسير إلى جانبي صامتا... طفلاً ليس كباقي الأطفال...

ـ الآخرون يصرخون... يبكون... يحتجون... يرفضون متابعة المشي . أما أنت... عيناك الصغيرتان على الأفق ، وقدماك الرفيعتان تطويان الطريق بخطوات قصيرة... متلاحقة .

ـ ... .

ـ وبعد أربعة أيام من المشي المتواصل... صلة الساعة بالساعة... والليل بالنهار...

ـ ... .

ـ نعم... الليل بالنهار... وصلنا المناطق التي تقع تحت سيطرة الجيوش العربية .

ـ ... :

ـ كان ذلك بعد وقف اطلاق النار .

ـ بعد انتهاء الحرب بين العرب واليهود .

ارتسمت على فمها ابتسامة متعبة جراء اسئلتي الملحاحة المتلاحقة ، ولذنا بالصمت برهة ، ثم شردت عيناها...

ـ ما كنا نتوقف الا من أجل أن نأكل شيئاً .

ـ ... .

ـ ما كنت أهتم بك . مصابي عظيم .

ـ ... .

ـ كان ذلك بعد مقتل كل من أبيك وأخيك . هذا المصاب انساني ضرورة الاهتمام بك .

ـ ... .

ـ كنت تتعلق بطرف ثوبي... تتشبث بطرف ثيابي... وتتابع السير صامتاً تماماً...

ـ ... .

ـ تلك كانت عادتك... لا أدري!

ـ ... .

ثانياً... ارتسمت على فمها ابتسامة متعبة من جراء أسئلتي الملحاحة المتلاحقة ، ولذنا بالصمت برهة ، ثم شردت عيناها :

ـ وعندما استقر بنا المقام في خيمة ، طلبت منك... كنت متعبة إلى درجة الخدر... وطلبت منك أن تأتيني بشربة ماء .

ـ ... .

ـ حاولت ـ أنت ـ النهوض ، لكنك عجزت...

ـ ... .

دمعت عينا أمي . رأيت التماع الدموع . فحبست سؤالي في فمي .

ـ لا تخف . لن أبكي... . بكيت ما فيه الكفاية .

مدت كفها إلى رأسي . استكنت .

ـ قدماك كانتا متورمتين... متشققتين ، وباطنهما متقيح ، يا لي من غبية!!... كيف غاب عن ذهني أنك كنت طيلة الأيام الأربعة حافياً ؟!... أنت تدري ... رجلاك ناعمتان... الطريق الوعر... الحجارة والأشواك... و...

كان عمري سبع سنوات عندما روت لي أمي ذلك ، ومن جانب حاولت استرجاع الأحداث ، تذكر أي جزء منها ، لكنني فشلت رغم كوني أستطيع تذكر بعض الأحداث التي سبقت ذلك . صاحب الأرض . البيت . الكوى الطينية . آنية الفخار . المزرعة .

وجه أبي الصارم . بندقية «المارتين» . أخي . وقتها سألتها :

ـ كم كان عمري ؟

يدها تعود إلى شعر رأسي تمسده .

ـ أربع سنوات .

ـ ... .

ـ نعم أربع سنوات . لكن تعابير وجهك كانت أشبه بتعابير وجه من خبر صروف الدهر .

المكان : غرفة التوقيف
الحالـة : تابع استرجاع

٣

وقالت لي أمي أيضاً :
ـ عمرك (الآن) سبع سنوات... أنت أصبحت رجلاً يعتد به . وعليك منذ (الآن) مهمة تسلم المؤونة المقررة لنا من مركز وكالة الغوث .

ـ ... .

ـ لا تخف... كلهم يذهبون .

ـ ... .

ـ حان وقت توزيع الطحين ... أسرع إلى مركز الوكالة قبل نفاد الطحين...

ـ ... .

هي أمي وعلي أن ... .
أقطع الطريق الضيقة ما بين الخيام . القطط الضالة والأطفال ، ومن بعيد يتراءى لعيني طابور الواقفين .
رجال مسنون . نساء . صبيان . بنات . أوعية . أكياس .

كيف أتصرف ؟!

وبصمت أقف في مؤخرة الطابور . وأحياناً يجيء أحدهم .

ـ أرجع إلى وراء .

يزحزحني عن مكاني .

ـ الدور دوري .

ويقف أمامي ليسد عني مجال الإبصار .

الطحين... والأطفال الذين في مثل سني يلعبون .

الطحين... ويأتي من هو بعدي ليأخذ دوري . الطحين...

ـ أسرع إلى مركز الوكالة!... والا فاتنا الدور!

الطحين...

ـ أنت تأخرت!... تأخرت كثيراً!!

المكان : غرفة التوقيف
الحالـة : تابع استرجاع

٣

وقالت لي أمي :
ـ بارك الله بك ، وبعملك الجديد .
ـ ... .
ولم تمد يدها لتمسح على شعر رأسي . كنت أشبه برجل ، وكانت ذرات الطحين عالقة بثيابي .
ـ ليرة ، وعشرة أرغفة يومياً .
ـ ... .
ـ الحمد لله... غداً تتقن الصنعة ، فتصبح خبازاً ماهراً .

*

وكان لها ما أرادت ، فقد تحقق أملها بعد انتقالنا من المخيم إلى المدينة بثلاث سنوات .

*

وعندما قالت لي زوجتي :

ـ يجب أن تجد لك عملاً آخر .

ـ ماذا ؟!

نظرت اليها بادىء الأمر بدهشة رافضة ، لكنها بالرغم... أتمت :

ـ ابحث عن عمل آخر غير عمل الخباز .

ـ لماذا ؟

كانت تلقم الطفل ثديها ، وباحتجاج حزين :

ـ أنت تذهب . منتصف الليل ، وأنا وحدي!

فم الطفل والثدي .

ـ كل النساء المتزوجات ينمن مع أزواجهن حتى الصباح...

الا هي .

ـ حاول أن تعثر على عمل آخر!

أحسستها على حق . لها كل الحق .

ـ من أين لي بعمل آخر ؟!

ـ ... .

ـ البحث شيء ، واتقان صنعة معينة شيء آخر ... أنا لا أتقن غير صنعة الخباز .

*

لو أني بحثت عن عمل آخر!

«ـ قف!... قف يا ولد!... لماذا تركض ؟!»

لو أني وجدت عملاً آخر!

«ـ القي عليك القبض وأنت في مسرح الجريمة...»

ـ لو أني ...

لما كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل!

والكلب...

*

وقال لي المحقق :

ـ هو أيضاً فلسطيني .

ـ ... .

ـ سأطلق سراحك فوراً... الصدق... الملف... النيابة... الدفاع عن... اجلس... اخرس! . لا تخرج... باتا!

مع المحقق الثاني
الحالة : هذيان

٣

« لا ... لا ... لا »

الليل . الظلام . وهو يركض . يركض بكل ما أوتي من قوة . لكن الأرض تنطوي تحت قدميه بشكل رهيب ، معاكس لاتجاهه .

« لا ... لا ... لا »

المحقق : متى تعترف ؟

مجموعة كبيرة من الكلاب تركض معه . خلفه . وأمامه مباشرة يركض كلب بوليسي ضخم .

« إلى هنا!! »

« ... هو ... هو ... »

« لست أنا !!... لست أنا! »

المحقق : متى تعترف ؟

الكلب يلتفت اليه .

« ... هو ... هو ... »

عيناه كبيرتان . مشعتان . فيهما نوع من الفرح المتشفي .

« ... هو ... هو ... »

المحقق : الأفضل لك أن تعترف .

أنياب الكلب . لعابه الذي يسيل .

« ليس أنا!... ليس أنا! »

الكلب ـ بأجمعه ـ يستدير إليه .

« ـ هو ... هو ... هووو... و ... و ... »

يقفز على صدره . يسقطان معاً .

المحقق : انكارك هذا لن يجديك نفعاً .

« النجدة!... النجدة!... »

الكلب ـ بضخامته ـ يجثم على صدره .

« الكلب يفترسني!! . يفترسني! . النجدة! »

المحقق : لن نرضى بأي بديل للاعتراف!

« هو يفترسني! . خلصوني منه! »

« ـ عضه مرتين!... ولولا عناية الله... »

« لكنه الآن... النجدة!... النجدة! »

المحقق : هذا التعذيب سيستمر ما دمت مستمراً في انكارك .

« انقذوني منه!... انقذوني منه! »

الكلب يلتهم أصابع يديه ، الواحد تلو الآخر .

« أنا خباز!... أنا خباز... أصابعي ... أصا... الكلب »

الكلب يستدير . ثقله على الصدر ، ويستدير .

« لا ... لا ... لا ... »

أسنان الكلب تطبق على أصابع قدميه .

« هو يلتهم أصابع قدمي!! »

المحقق : هل ستعترف ... أم لا ؟

«افترسني الكلب!!... أنا أموت!... أموت! »

المحقق لمن معه : لا تقلعوا الاظفر بسرعة... الأفضل أن تشدوا عليه قليلاً... قليلاً...

أصوات الكلاب تتلاشى . الكلاب تتلاشى . ليحل محلها صوت سيارة الشرطة .

«النجدة!... »

الأصوات تقترب .

المحقق : الاعتراف أو الموت!

الاصوات تملأ الزمان والمكان .

«ـ قف!... قف يا ولد! »

لا يستطيع حماية أذني من الأصوات .

«النجدة! »

المحقق : لماذا قتلته ؟

لكنه يستمر في الركض . يزيد من سرعته .

«ـ لماذا تهرب ؟! »

«ـ أنا ذاهب إلى عملي . »

«ـ لماذا تهرب ؟! »

«ـ أنا لا أهرب... أنا خباز»

المحقق : كيف طعنته بالخنجر ؟

«ـ لماذا تركض ؟... قف... قف...»

«ـ أنا على عجل!»

«ـ سنطلق النار!»

«ـ لا أستطيع التوقف!... هو بحاجة إلى اسعاف... أنامريض... هو مصاب... مطعون بخنجر!

المحقق : ما هي علاقتك به ؟

«هو مصاب! ... يجب أخذي إلى الطبيب!... الكلاب أكلت أصابعي... أخشى أن يموت! .

دعوني أصل إلى كشك التلفون!... أنا بحاجة لأن أنام ... تعبان . مريض... من منكم معه قطعة ... تلفون!!

المحقق : هل هو قريبك ؟

«ـ قف!... هانحن نطلق النار!»

«لا ... لا ... انتظروا ... انتظروا... سأحاول الوقوف!»

الرصاصات تنطلق .

«لا ... لا ... أنا لست هارباً !»

تصيب رؤوس أصابع يديه ، وابهام قدمه اليسرى .

المحقق : لا فائدة من مواصلة المقاومة .

طرقات مرنة على الباب .

المكان : غرفة التعذيب
مع المحقق الثاني
الحالـة : تابع هذيان

٣

المحقق : ادخل .

الباب ، الخطوات المرنة . «السلامات» .

المحقق الضيف : هل انتهيت منه ؟

المحقق : لا زلنا كما كنا .

الضيف : لديه قدرة خارقة على احتمال التعذيب!

المحقق : ستنهار هذه المقاومة ، ان عاجلاً ، أو آجلا .

الضيف : خذ حذرك!... حالته الجسدية ـ على ما يبدو ـ سيئة جداً!

المحقق : سنعالجها بالسلك الكهربائي .

الضيف : ... .

المحقق : س نرى ... حتى متى تستمر المقاومة ؟!

الضيف : ضع في اعتبارك حاله الصحية!

المحقق لمن معه : جئني بالسلك .

« لا ... لا ... لا ... »

خيل إليه أن قوة اسطورية رفعته إلى أعلى بسرعة وضربت به الأرض .

« الصاعقة!!... الصاعقة! »

المحقق : من أين جئت بالخنجر ؟

الأرض صاعقة!... السماء صاعقة!...

جسده ينتفخ بشكل غريب... غريب... وينفجر بقوة ، ليعاود الانتفاخ ثانية .

« النار!!... النار! . »

المحقق : هل تعترف ... أم لا ؟

« لا تقتربي مني!... لا تقتربي!... الأولاد!... أنا مصعوق! »

الضيف : هو يهذي!

المحقق : تلك عادته .

« ستموتين!... احذري!... ابعدي يدك عني! ابتعـ... »

الضيف : خفف قليلا!

المحقق : ليس الآن .

الضيف : ... .

المحقق : هل تعترف ... أم لا ؟

الضيف : أخشى أن يموت بين أيدينا!

المحقق : صه!

الضيف : انظر إليه!... بدأ يلفظ أنفاسه!!

المحقق لمن معه : أقطعوا التيار!

الضيف : امهلوه فرصة يسترد وعيه!

« أنا أموت!... الأولاد ... عليك بالأولاد! »

« ـ أين أنت! »

« أنا هنا! . »

«ـ أنا لا أراك!... ولا أعرف أين أنت!»

«ـ هم ... هم يقولون... الاتصال ... باتا...»

الضيف : حالته سيئة!

المحقق : الأفضل أن نصب عليه ماء بارداً .

المكان : غرفة التعذيب
مع المحقق الثاني
الحالـة : عودة إلى بدايات الوعي

يدور بعينيه . أشباح تحيط به ، الأشباح تتجسد رويداً رويداً لتتحول إلى ثياب عسكرية بأزرار لامعة .

المحقق : أظننا توصلنا إلى اتفاق!

المتهم : ...

عيناه تدوران . الجدران الآلات . الأدوات . الرجال . وجه المحقق . المحقق .

المكان : غرفة التعذيب
مع المحقق الثاني
الحالـة : استجواب

٧

المحقق : أظنك ستعترف الآن!
المتهم : ... .
المحقق : لا فائدة من الانكار!
المتهم : ... .
المحقق : جميع الدلائل تشير إليك .
المتهم يهمهم : لو أنها تعلم!... لو أنها!... لو ...
المحقق : ماذا تقول ؟!
المتهم : ... .
المحقق : هل تسمعني ؟
المتهم يئن : آه!!
المحقق : لا وقت لدينا!
المتهم يهمهم : أنا... أنا...

المحقق : أنت ماذا ؟! قل!

المتهم : مريض .

المحقق : ستعالج بعد انتهاء التحقيق .

المتهم : أنا تعبان!... أنام! .

المحقق : قلت لك ... لا وقت لدينا... هل ستعترف... أم لا ؟

المتهم : زوجتي... زوجتي لا تعلم بمكاني!

المحقق : أنت غبي وعنيد .

المتهم : ... .

المحقق : قلنا لك ألف مرة... . كل طلباتك ستنفذ بعد انتهاء التحقيق .

المتهم : ومتى ينتهي التحقيق ؟

المحقق : الأمر موكول بك .

المتهم : بي أنا ؟!

المحقق : لا تتظاهر بالغباء!

المتهم : ... .

المحقق : اعترافك ينهي التحقيق .

المتهم : وان لم أعترف ؟!

المحقق : نعاود الاستجواب .

المتهم : ... .

يد المحقق تشير باحاطة واثقة إلى كل ما هو موجود في الغرفة .

عينا المتهم تتابعان يد المحقق .

المتهم يهمهم : كيف اعترف... وأنا لم أقتل ؟!

المحقق : ماذا قلت ؟

المتهم : ......

المحقق : « ها » ما رأيك ؟

المتهم يهمهم : لو قلت... أنا ... محاكمة... قضاة... شنق...

المحقق : ماذا قلت ؟

المتهم : ... .

المحقق : أنت تضيع وقتنا!

المتهم : ... .

المحقق : لا مفر من الاعتراف .

المتهم : واذا لم أعترف ؟

المحقق : قلت لك... نعاود الاستجواب .

المتهم : ومتى سينتهي هذا الاستجواب ؟

المحقق : بعد اعترافك مباشرة .

المتهم : لكني لن أعترف!

المحقق : اذن لا مفر أمامنا من البدء من جديد .

يد المحقق تشير باحاطة واثقة إلى كل ماهو موجود في الغرفة من آلات وأدوات . عينا المتهم لا تغادران وجه المحقق .

المحقق : « ها » ... هل نبدأ

المتهم : اذا بدأتم معي ... متى ستنتهون مني ؟

المحقق : بعد الاعتراف طبعاً .

المتهم : لكني لن أعترف... أنا بريء!

المحقق : اسمع!

المتهم : ... .

المحقق : أحابيلك وحيلك لن تنطلي علينا... .

طرقات على الباب .

المحقق : ادخل .

خطوات مرنة .

المحقق الضيف : أظنك انتهيت منه ؟

المحقق : ليس بالضبط .

الضيف بدهشة : غريب!!

المحقق للمتهم بغضب : يجب أن يكون في علمك بأننا لن نتردد عن استخدام جميع الوسائل... جميع الوسائل الممكنة لانتزاع الحقيقة منك ، ولا بديل لغير الحقيقة!

المتهم بيأس : اذن... لا فائدة من متابعة المقاومة!

الضيف : بالطبع لا فائدة .

عينا المتهم لا تنتقلان إلى حيث مصدر الصوت .

المحقق بثقة : أنت ... أو الاعتراف .

المتهم يهمهم : لو أنها تعرف...

المحقق : ماذا قلت ؟!

المتهم : لا أدري!! .

الضيف : أمهله ساعة يفكر فيها .

عينا المتهم تغادران إلى حيث مصدر الصوت .

تعليق:

٧

استمرار الرفض هو استمرار للتعذيب . أصابع يديك بدون أظافر ، وابهام قدمك اليسرى .

حساسية الألم تتركز حيث لا تعلم أين تذهب بيديك . لو أن البرد وحده لوضعتها تحت ابطيك ، لكنه النبض الذي يتجسد لسعا داخل رأسك المهموم .

« وهي لا تدري! »

الأسنان... وهل هناك جدوى من بقائها ؟! . أما عن الضرب ، والسلك الكهربائي...

ليس المهم أن تجالد أكثر ، لكن المهم هو...

لماذا المقاومة ؟...

ما دمت واثقاً من أن لانهاية لمثل هذه المعاناة ؟

الغربة والضياع . الزوجة والأولاد . وهم يرفضون رفضاً قاطعاً ، حاداً وباتاً أن يصدقوا أقوالك .

«ـ كل الدلائل تشير إليك .»

«ـ لا بد لكل حادث من مسبب .»

«ـ انتما فلسطينيان .»

«ـ أنت المسؤول عن الحادثة ٦٧...»

حتى متى تستطيع الاحتمال ؟!

لو أن أحداً يعرفك!... يعرف أين أنت!... اذن لامتلكت بعض أمل بتغيير ما في الوضع .

أما وقد قطعوا كل صلة لك بالعالم الخارجي... فلا سبيل أمامك غير التعامل معهم .

«ـ الاعتراف أفضل...»

«ـ الاعتراف أو استمرار التعذيب...»

«ـ الاعتراف أو الموت...»

الموت لديهم ، الموت بين أيديهم . أنت تكاد لا تدري هل مارست الموت فعلاً أم لا !

في كل مرة ...

«ـ أعدوا الغرفة .»

كنت تذهب معهم بعيداً... بعيداً جداً...

«ـ أين أنت ؟! ... أنا لا أراك!»

«ـ بابا راح!!... بابا راح!»

حيث تفقد كل صلتك بالحياة المحسوسة .

لولا غربتها ، وأطفالك!... أنت تخشى أن ترحل مرة من المرات إلى الحدود المشتعلة...

«الرمال الحارة ... الطائرات... الجدران... الكلاب...»

ثم لاتعود .

«ـ حالته الجسدية سيئة!... كونوا على حذر!... بدأ يلفظ أنفاسه! أمهلوه فرصة!»

ولا أمل باقتناعهم :

«ـ أنا بريء .»

«ـ فنبدأ معك من جديد ...»

«ـ لا بديل للاعتراف!»

السبيل السهل :

«ـ أنا قاتل...»

«ـ أنا الحادثة ٦٧...»

«ـ أنا والخنجر والمسرح...»

ساعتها ستشد الأيدي على يديك مهنئة بالسلامة .

«ـ يا سيدي... أنا قتلته»

«ـ استقدموا زوجته .»

«ـ يا سيدي أنا...»

«هاتوا له الطعام والفراش .»

«ـ يا سيدي...»

«ـ جيئوه بالطبيب .»

اذن ... فهذا هو السبيل السهل الذي...

«ـ يا ... أنا ... محكمة ... القفص ... بعد الاطلاع على ملف الحادثة ٦٧...
ونظراً للاعتراف الصريح الذي أدلى به المتهم قررنا ما يلي...»

«ـ يمكنك أن توكل محامياً بارعاً...»

«ـ أنت في حالة دفاع عن... هناك احتمال كبير ... ساحتك ...»

لو أنها تعرف مكانك!... لو ... لامكنك مواصلة الرفض .

«ـ لكني بريء! ... والله بريء!... مظلوم! أقسم لكم ...»

«ـ كفى!»

لو أنهم يعرفون جسامة الألم ... طعم الألم الذي يوقعونه بك لما عضك الكلب مرتين!

«ـ هل تعترف أم... »

«ـ لا أدري!! »

فيتدخل الضيف :

«ـ أمهله ساعة يفكر فيها . »

ترى هل فكرت ؟!... وان فكرت فما هو قرارك الأخير ؟!

والساعة «المهلة» كم بقي منها ؟!

«ـ المكالمة التلفونية... ساعة يد . »

استمرار الرفض معناه الموت .

«ـ بابا... بابا... »

والاتفاق معهم على صيغة...

«ـ أنا قاتل... »

ستودي بك إلى ...

المكان : غرفة التعذيب

مع المحقق الثاني

الحالـة : استجواب

٨

المحقق يتصفح أوراق الملف . يهز رأسه باقتناع . المتهم يراقبه عن قرب .

المحقق : أظنك اتخذت قرارك الأخير!

المتهم : نعم .

المحقق : هل هناك حاجة للبدء معك من جديد ؟

يده تشير باحاطة واثقة إلى كل ما هو موجود في الغرفة . عينا المتهم مع اليد .

المتهم : ... .

المحقق : « ها » ما رأيك ؟

المتهم : سأعترف يا سيدي .

المحقق : هذا هو عين الصواب . لنبدأ بالسؤال الأول... ماهي علاقتك بالقتيل ؟

عيناه تدوران في وجه المحقق بحيرة .

المحقق : ما هي علاقتك بالقتيل ؟

المتهم : لا ... لا أدري!

المحقق بغضب : كيف لا تدري ؟

المتهم : ... .

المحقق : ها نحن نعود لألاعيبك السخيفة!

المتهم : ... .

المحقق : ما هي علاقتك به ؟

المتهم : والله يا سيدي!... يا سيدي والله...

المحقق : ماذا ؟!

المتهم : لا أعرفه!

المحقق : يبدو... أن لا فائدة ترجى من اتباع الأساليب الإنسانية معك!

المتهم : ... .

المحقق : اللغة الوحيدة التي تفهمها هي لغة العنف!

المتهم : ولكن ... لماذا يا سيدي ؟!

المحقق : لماذا ؟... أما أن تكون غبياً وأما...

عينا المتهم بين شفتي المحقق .

المحقق : بل أنت دجال كبير!

المتهم : ... .

المحقق : أسألك عن علاقتك بالقتيل فتقول « لا أعرفه »

... كيف ؟!

المتهم : يا سيدي... أنتم طلبتم اعترافاً... وها أنا أعترف .

المحقق : ماذا ؟!

المتهم : أنا القاتل .

المحقق : هذا لا يكفي ... نريد معرفة علاقتك بالقتيل!

المتهم : والله... لا أعرفه!

المحقق : لا مفر أمامنا... غير اتباع وسائلنا الخاصة... هيا!...

المتهم بهلع : لا ... لا ... يا سيدي أنا أعرفه... أنا أعرفه...

المحقق : طيب... وما هي علاقتك به ؟

المتهم : أمهلني دقيقة واحدة أتذكر فيها!!

المحقق : تذكر بسرعة . لا وقت لدينا!

الباب يطرق .

المكان : غرفة التعذيب

مع المحقق الثاني

الحالة : تابع استجواب

٨

المحقق منزعجاً : أدخل

الباب . خطوات عسكرية . تحية مثلها .

المحقق أكثر انزعاجاً : نعم!

الشرطي : سيدي... جاءتنا الآن مكالمة تلفونية من النيابة العامة... هم يطلبون ملف الحادثة ٦٧... يقولون...

المحقق : قل لهم... سننتهي من اعداد الملف المذكور خلال ساعة على الأكثر .

الشرطي : أمرك سيدي .

تحية عسكرية . خطوات مثلها . الباب .

المحقق : هيا يا بطل٦٧... هل انتهيت إلى قرار معين ؟

المتهم : نعم يا سيدي .

المحقق : حسناً... ما هي علاقتك بالقتيل ؟

المتهم : قررت أن يكون ابن عمي .

الملف . الأوراق . القلم .

المحقق يهمهم : ... ثم أفاد الجاني بأن القتيل هو ابن عم له .

يضع القلم . يرفع وجهه إلى المتهم .

المحقق باقتناع : ليكن بعلمك... اننا منذ البداية جزمنا بوجود علاقة قرابة بينكما . خاصة وأنكما فلسطينيان .

المتهم : ... .

المحقق وهو يزفر بارتياح : والآن مع السؤال الثاني... لماذا قتلته ؟

المتهم : ... .

عيناه تدوران على وجه المحقق بحيرة .

المحقق : ببعض غضب : لماذا قتلته ؟

المتهم : لا ... لا ... أدري!

المحقق مع بعض الصبر : هل كنت مخموراً ؟

المتهم : « مخموراً!! »

المحقق : عندما ارتكبت الجريمة... هل كنت مخموراً ؟

المتهم : الجريمة!! « مخموراً »... لا... لا...

المحقق : اذن فأنت مالك لقواك العقلية!

المتهم بحيرة : العقلية!... مالك !... لا أفهم !!

المحقق : اسمع... هل سبق ودخلت مستشفى الأمراض العصبية ؟

المتهم : العصبية!... لا... لا...

المحقق : اذن ... فأنت عاقل!

المتهم : عاقل .

المحقق مادمت عاقلاً... علام قتلته ؟!

المتهم بعفوية : لم أقتله .

المحقق : ماذا ؟!

المتهم يتدارك : آسف يا سيدي!... أنا القاتل... ولكن ألا يكفيكم اعترافي بالجريمة... وبأن القتيل ابن عمي ؟!

المحقق : نريد أن نعرف دافع القتل!... لا بد من استكمال أوراق الملف .

المتهم : ... .

المحقق : لا جريمة من دون دافع... أليس كذلك ؟

المتهم بحيرة : أنا لا أعرف الدافع!!

المحقق بغضب : ماذا ؟!... هل تحسبنا أغبياء مثلك ؟!... اما أن تعترف... واما...

يده تشير إلى ما في المكان من...

عينا المتهم تنشدان إلى وجه المحقق .

المتهم بهلع : سأعترف!... سأعترف!!

الملف . الأوراق . القلم . الاستعداد للكتابة .

المحقق : هيا ... قل ... لماذا قتلته ؟

المتهم : أمهلني دقيقة واحدة أتذكر فيها!

المحقق : تذكر بسرعة . لا وقت لدينا .

الباب ـ ثانية ـ يطرق .

المكان : غرفة التعذيب

مع المحقق الثاني

الحالـة : تابع استجواب

٨

المحقق بانزعاج : ادخل .

الباب . خطوات عسكرية . تحية مثلها .

المحقق بانزعاج أكثر : ماذا تريد ؟!

الشرطي : سيدي... جاءتنا الآن مكالمة تلفونية ثانية من النيابة العامة...

المحقق بغضب : ما هذا ؟!... ماذا تريدون أيضا ؟!

الشرطي : هم يطلبون ملف الحادثة ٦٧...

المحقق : هل اخبرتهم ... بأننا سننتهي من أعداد الملف المذكور خلال ساعة ؟

الشرطي : أخبرتهم .

المحقق : غريب!!... هم لم يملهونا عشر دقائق!

الشرطي : ... يقولون «هناك متهم آخر بالقضية ذاتها » وهم يحاجة لأقوال الاثنين معاً .

المحقق : قل لهم ... «المجرم الحقيقي عندنا » ... وسأرسل أوراقه كاملة بمعيته

خلال ساعة واحدة فقط... هل فهمت ؟

الشرطي : فهمت يا سيدي .

المحقق : لا تقف كالغبي!... أسرع!

الشرطي : حاضر .

تحية عسكرية . خطوات عجلة . الباب .

المحقق : هل انتهيت إلى قرار ؟

المتهم : نعم .

المحقق : حسناً... لماذا قتلته ؟

المتهم : قررت أن يكون ذلك دفاعاً عن النفس .

الملف . الأوراق . القلم .

المحقق وهو يهمهم : ثم أفاد الجاني بأنه أقدم على قتل المجني عليه دفاعاً عن النفس .

المتهم : ... .

المحقق وهو يزفر بارتياح : والآن مع السؤال الثالث... كيف تمت عملية القتل ؟

المتهم : ... .

عيناه تدوران على وجه المحقق بحيرة .

المحقق : كيف تمت عملية القتل ؟

المتهم : لا أدري!!

المحقق بغضب : عدنا ثانية لألاعيبك السخيفة!

المتهم بلهجة تحمل فرحة الاكتشاف : تذكرت!... تذكرت!

المحقق : ماذا تذكرت ؟

المتهم : عملية القتل ... تمت بواسطة خنجر .

المحقق بغضب : أي غبي آخر يعرف بأن عملية القتل تمت بواسطة خنجر... أنا لا أسأل عن نوع السلاح الذي قتل به المجني عليه!... بل أريد معرفة الكيفية... الوصف التفصيلي الدقيق لعملية القتل!

المتهم : ... .

«بغضب أكثر» المحقق : لا سبيل أمامنا غير انتزاع الاعتراف الكامل منك بالقوة!

المتهم بسرعة : انتظر يا سيدي!... انتظر!

المحقق : ماذا انتظر ؟!

المتهم : أمهلني دقيقة واحدة أفكر فيها!

المحقق : هيا ... لا وقت لدينا!... النيابة...

الباب ـ ثالثة ـ يطرق .

المكان : غرفة التعذيب
مع المحقق الثاني
الحالة : تابع استجواب

٨

المحقق بانزعاج : ادخل .

الباب . خطوات عسكرية . تحية مثلها .

المحقق بانزعاج أكثر : ماذا تريد ؟!

الشرطي : سيدي... جاءتنا الآن مكالمة ثالثة من النيابة العامة...

المحقق : غريب!!... هم لا يمهلوننا أية فرصة لانهاء التحقيق!!

الشرطي : سيدي... هم يقولون... «لا داعي للاستمرار في التحقيق»... المتهم الثاني الذي لديهم اعترف بارتكاب الحادثة ٦٧...

الانشداه على وجه المحقق . الرفض . الفهم... الشعور بالانهزام . الغضب . الغضب...

المحقق : لا ... لايمكن!!

حدقتاه تتسعان . فكاه ينضغطان احدهما على الآخر بقوة . يدور على نفسه...

الآخرون ـ عدا المتهم ـ يبتعدون إلى حيث الجدران .

المتهم يحاول الابتعاد برأسه عن متناول قبضة المحقق .

يصرخ المحقق : «تخدعني يا مجرم!» «تكذب علي!!»...

المتهم يحاول الابتعاد برأسه عن متناول قبضة المحقق .

المتهم بجزع : لا والله يا سيدي!!... أنا لم أكذب يا سيدي!!... القاتل... النيابة هو الذي يكذب!... القاتل هو الذي يكذب!!...



الشرطي : سيدي... هم يقولون... «لا داعي للاستمرار في التحقيق»... المتهم الثاني الذي لديهم اعترف بارتكاب الحادثة ٦٧...

الانشداه على وجه المحقق . الرفض . الفهم...

الشعور بالانهزام . الغضب . الغضب...

المحقق : لا ... لايمكن!!

حدقتاه تتسعان . فكاه ينضغطان احدهما على الآخر بقوة . يدور على نفسه... الآخرون ـ عدا المتهم ـ يبتعدون إلى حيث الجدران .

المتهم يحاول الابتعاد برأسه عن متناول قبضة المحقق .

يصرخ المحقق : «تخدعني يا مجرم!» «تكذب علي!!»...

المتهم يحاول الابتعاد برأسه عن متناول قبضة المحقق .

المتهم بجزع : لا والله يا سيدي!!... أنا لم أكذب يا سيدي!!... القاتل... النيابة هو الذي يكذب!... القاتل هو الذي يكذب!!...

تصميم و خطوط الفاروق محمد سعيد الصكار اللوحة : مروان قصاب باشي

ISBN => 2-84305-009-X
EAN => 9782843050091